جامعة زيان عاشور – الجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم التاريخ والأثار

مطبوعة خاصة بمقياس:

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط

دروس موجهة إلى طلبة السنة الثانية ماستر غرب اسلامي

السداسي:1 الرصيد: 5 المعامل: 3

إعداد : د– ملياني زينب

السنة الجامعية: 2026/2025

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي – جامعة زيان عاشور الجلفة

مقدمة:

التصوف من المواضيع الشائكة والباحث في هذا المجال يجد نفسه أمام عدة اشكاليات يحاول جاهدا البحث بين أسطر النصوص عله يشفي ظمأه بإجابة شافية تقوده الى رسم معالم سيرورة هذا الموضوع، وهذا ما حاولنا تتبعه في صفحات هذه المطبوعة التي شكلت مجموعة من المحاضرات بذلنا ما في وسعنا لنعطي أهم التطورات التي عرفها التصوف بالغرب الاسلامي في العصر الوسيط، من خلال الاجابة عن التساؤلات التي تعد محاور المحاضرات ونجملها في الاشكالية الآتية: ماهي ملامح التصوف بالغرب الاسلامي؟ وما مدى تفاعل أقطابه مع المجتمع؟

المحاضرة1: مصادر دراسة التصوف في الغرب الإسلامي

1 – كتب المناقب:

شكل هذا النوع من المصادر أهمية بالغة في دراسة التصوف بالغرب الإسلامي، وذلك لكونه قد احتفظ لنا بأخبار المتصوفة حياتهم ومواقفهم من الظروف التي عايشوها آنذاك، وإبراز الجانب العملي لحركة التصوف انطلاقا من خطاب الكرامة الذي ترجم مدى فاعلية أقطاب التصوف في مختلف ميادين الحياة بمجتمع الغرب الإسلامي، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1-1- بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخبار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار أبو يعزى سيدي موسى محمد بن محمد بن علي على الصبّاغ القلعي الذي تضمن مناقب المتصوف أبي يعزى صاحب الكرامات الكثيرة، فذكر أخبار تتعلق بحياته كلباسه وأكله ومسكنه، فضلا عن علاقته ببعض الفقهاء ممن أنكروا عليه كراماته إلى جانب دوره في الحياة الاجتماعية بالمغرب.

1-2- **مناقب أبي العباس السبتي** لأبي القاسم علي الهواري، وقد ذكر فيه مناقب المتصوف المغربي الشهير أبو العباس السبتي صاحب الإحسان والصدقة، كما أشار إلى كراماته التي

اشتهر بها فضلا عن دوره في المجال الاجتماعي بالمغرب الأقصى وعلاقته بالخليفة الموحدي المنصور.

1-3- **كتاب أنس الفقير وعز الحقير** لابن القنفذ القسنطيني(ت810 هـ/1407م) وقد نشأ صاحبه في بيئة صوفية لذا آمن بكرامات المتصوفة وأقرّ بها واهتم بتتبع أخبارهم، ويتضح ذلك من خلال إعجابه بالمتصوف أبي مدين شعيب الذي بدا واضحا جليا حتى أنه خصص كتابه هذا لأخباره، فعمد إلى تقصي كل ما تعلق به وباتجاهه الصوفي كما أنه اهتم بسرد أخبار أتباعه وتلامذته ممن أخذوا عنه وعملوا على نشر أفكاره، وقام أيضا بالتعريف بحياة أبي مدين من لباس ومأكل وتدريس وغيرها.

1-4- **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لابن مرزوق محمد الخطيب**(ت781هـ/1379م) واحتوى بين طياته على معلومات تفيد المتخصص في مجال التصوف في التعرف على الجانب الثقافي لمدينة تلمسان ومعلومات تتعلق بالزاوية.

2 – كتب الطبقات والتراجم:

لكتب الطبقات والتراجم أهمية في دراسة التصوف إذ تسمح للباحث باستخراج معلومات من تراجم الشخصيات عن حياة المتصوفة وطبيعة التيارات الصوفية السائدة آنذاك، إلى جانب كونها تفتح له المجال لمعرفة الأفكار الصوفية والنظريات التي ميزت كل تيار، هذا دون أن ننسى تحديدها لنوع العلاقة التي كانت تربط أقطاب التصوف بالسلطة والفقهاء، وموقف فئة المتصوفة من الظروف التي عاشها المجتمع وما عكسته كراماتهم من خطاب جسّد تلك المواقف.

2-1- **كتاب التشوف إلى رجال التصوف** لابن الزيات التادلي وقد ألفه في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي واكتست المادة التاريخية التي احتواها بين صفحاته قيمة تاريخية هامة، فهو بمثابة موسوعة شملت أسماء متصوفة الفترة الممتدة بين القرنين 5-7 هـ/11 – 13 م، وقد ترجم فيه لمئتين وتسعة وسبعين صوفيا، وتأكد من خلال ما ذكره في كتابه أنه متأثر بالتصوف إذ أقر بصحة كرامات المتصوفة الذين ذكرهم.

2-2- **كتاب السرّ المصون في ما أكرم به المخلصون** لطاهر الصدفي الذي عاش في أواخر العصر المرابطي وأوائل العصر الموحدي، وتكمن أهميته في كونه قد عايش أزهى الفترات التي مرّ بها التصوف بالغرب الإسلامي وتضمن تراجم لشخصيات صوفية عرفهم، ويستطيع الباحث من خلاله استخراج معلومات عن المتصوفة والتيارات الصوفية التي اتبعوها.

2-3- **كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية** لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت704 هـ/1306م) وشكّل بدوره أهم مصدر ترجم لحياة علماء ومتصوفة المغرب الأوسط خلال القرن 7هـ/13م، كما ترجم لمن وفد إلى بجاية من علماء ومتصوفة أندلسيين ومغاربة وحتى مشارقة، وتكمن أهميته في معرفة التيارات الصوفية التي عرفها المغرب الأوسط والتي عمد شيوخها على تلقينها لطلبتهم عند حلولهم ببجاية.

2-4- **كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** لابن مريم (ت1014 هـ/1605 م) الذي تضمن اثنين وثمانين ومئة ترجمة للأولياء والعلماء بتلمسان، وبما أن هذه الأخيرة كانت من بين أهم المدن التي عرفت انتشارا للتصوف، فإن هذا الكتاب يمكننا من معرفة التيارات الصوفية التي برزت فيها وعلاقتها بباقي المدن الأخرى من خلال حركة تنقل المتصوفة.

2-5- **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** لأبي زكريا يحي بن خلدون الذي تضمن هو الآخر تراجم لبعض العلماء والمتصوفة، وتكمن أهميته في دراسة التصوف من خلال التراجم الخاصة بالمتصوفة والتي تُمكن الباحث من رصد علاقة السلطة ببعض أقطاب التصوف وموقفها من كراماتهم.

3- الموسوعات وكتب المعارف التاريخية العامة:

هذا النوع من المصادر تكمن أهميته في المعلومات التي يستقيها الباحث ويحاول من خلالها رصد حركة الزهد وإسهامها في ظهور التصوف بالغرب الإسلامي، كما أنها تعطي له إشارة عن الدور الذي لعبته السلطة آنذاك في ظهور بعض التيارات الصوفية، وتشير في كثير من الأحيان لموقف السلطة والفقهاء من التصوف وعلاقتهما بأقطابه.

4- كتب الجغرافيا والرحلات:

بما أن العامل الاقتصادي قد لعب دورا بارزا في ظهور وانتشار حركة التصوف فإن هذه المصادر تكتسي أهمية لأنها غنية بالمعلومات الخاصة بالاقتصاد والتي تبين لنا علاقة عامل الثراء وحتى الأزمات بالتصوف، فهي تحمل مادة تاريخية مهمة لا يمكن الاستغناء عنها.

5- كتب الشعر:

لعب هذا النوع من المصادر دورا مهما في الدراسات التي اختصت بالزهد والتصوف، خاصة فيما يتعلق بالمعلومات التي يستخرجها الباحث منها والتي تفيد في رصد الأفكار التي تبناها أقطاب التصوف آنذاك ولقنوها لطلبتهم، إذ نجدهم قد أبدعوا في تصوفهم فجاؤوا بأفكار ونظريات صوفية فلسفية جسّدت شخصيتهم المغربية والأندلسية وخلّدوا ذلك في أشعارهم وأزجالهم.

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي - جامعة زيان عاشور الجلفة

المحاضرة2: التصوف بالمشرق الاسلامي

1- تعريف التصوف:

1-1- لغة:

من تَصوَّفَ تَصَوُّفًا أي صار من الصوفّية أو شبه بالمتصوّفين. لبس الصوف والتَصَوُّف مصدر تَصَوَّف.

1-2- اصطلاحا:

تعددت تعريفات التصوف ولا يمكن حصرها في هذه المحاضرة غير أننا سنستعرض بعضها، والتصوف حسبما عرفه الكلاباذي هو عزوف النفس عن الدنيا وتخليها عن ملاذها، أما ابن خلدون فيرى أنه " العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"، وهو فقه للباطن لاهتمامه بالأفعال الخاصة بالقلب.

اختلفت المصادر حول اشتقاق كلمة التصوف إذ تعددت الأصول التي نسبت إليها، واجتمع رأي جل المؤرخين على أن أصلها يرجع إلى لباس الصوف الذي اعتاد المتصوفة ارتداءه.

2- نشأته وأنواعه:

2-1- التصوف السني:

كان التصوف خلال القرنين 1-2هـ/ 7-8م عبارة عن زهد إذ اقتصر بعض المسلمين آنذاك على نمط خاص في حياتهم، إلى جانب إقبالهم على العبادة والإكثار من الأدعية وتفضيلهم الآخرة عن الدنيا والعمل لها، كالحسن البصري (ت 110هـ/728م) الذي أراد أن يُكوّن نظاماً قائماً على القرآن والسنة والاقتداء بالسلف الصالح، هذا إلى جانب رابعة العدوية التي جاءت بفكرة الحب الإلهي، ونظراً لخوف المتصوفة الشديد من عذاب الله تمسكوا بالشريعة الإسلامية وغدا بذلك زهدهم معتدل، وعملوا على مراقبة الأفعال الصادرة عن قلوبهم،

وهذا ما جاء به الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243هـ/858م) في كتابه " الرعاية لحقوق الله" الذي شرح فيه تصوفه القائم على الورع ومحاسبة النفس والتقليل من شأن الدنيا، أما الجنيد (298هـ/911م) فقد قام تصوفه على الرياضة ومحاولة التحرر من القيود المادية مع إتباعه الشريعة، وبرز بذلك التصوف كعلم إلى جانب علم الفقه بعدما كان عبارة عن حركة زهدية بسيطة، واختص الفقهاء بالعلم الثاني– الفقه – فعالجوا أمور العبادات والمعاملات، أما علم التصوف فقد اهتم أصحابه بما يتعلق بمسألة محاسبة النفس والتعمق في باطن الشريعة الإسلامية، وعملوا على الاهتمام بالنفس ودراسة العوائق التي تمنع الإنسان من الوصول إلى ربه والتي يتم القضاء عليها عن طريق الابتعاد عن المعاصي وإكثار العبادات للتقرب من المولى عزّ وجلّ.

وفي القرن 3هـ/ 9م اهتم المتصوفة بالكلام في السلوك والنفس وأحوالها وتعمقوا في ذلك، فطُبع تصوفهم بالجانب الأخلاقي في علمهم وأعمالهم، وبات علماً للأخلاق الدينية يختص بالبحث في العبادات ومعاينها وأسرارها الباطنية، وقد تمسك متصوفة القرنين 3-4هـ/ 9-10م بالقرآن الكريم والسنة النبوية واتخذوهما أساساً لتصوفهم وميزاناً لكل ما يحسون به، وعملوا على جعل أفعال الخير تصدر عن أنفسهم عن طريق تدريبها بالرياضات التي تتم من خلال الابتعاد عن الدنيا وعدم الاهتمام بشهواتها وملذاتها، وساعدهم في ذلك كثرة الصيام والعبادات فتعودت أنفسهم بعدها على تلك الرياضات وبات عندهم الفعل أو الترك سواء.

ونظراً لغلو العديد من المتصوفة في تصوفهم كان لا بد من محاربتهم إلا أن هذا لم يُجدِ نفعاً، فرغم الاضطهاد الذي عرفه كبار غلاة المتصوفة إلاّ أن ذلك زادهم مكانة بل رفعهم إلى منزلة الشهداء، كالحسين بن منصور الحلاج (ت 309هـ/922م) الذي كان من الغلاة لآرائه التي تحدثت عن **الاتحاد بالله**، مما ألزم الصوفية المعتدلين محاولة النهوض بالتصوف وجعله يتوافق مع الشريعة، فخلال القرن 5هـ/ 11م نحا هؤلاء بالتصوف منحىً إصلاحياً، إذ عملوا على محاربة الغلو والانحرافات التي عرفها بعض المتصوفة محاولين الرجوع به إلى

الكتاب والسنة النبوية، وكان ذلك بفضل القشيري (ت 465هـ/ 1068م) الذي كتب رسالته إلى جميع المتصوفة المسلمين وضمّنها مبادئ التصوف القائمة على أساس الشريعة الإسلامية، كما أن أبا حامد الغزالي(ت 505هـ/1111م) هو الآخر عمد إلى الرجوع بالتصوف إلى قواعد الدين الإسلامي، وانتصر للتصوف السني القائم على الكتاب والسنة وضَمَّنَ كتابه" إحياء علوم الدين " أحكام الورع والإقتداء إلى جانب شرح مصطلحات المتصوفة وتبيين آدابهم.

2-2- التصوف الفلسفي:

عمد أصحاب هذا النوع من التصوف إلى الدمج بين أذواقهم الصوفية والعقل مع استخدام تعابير فلسفية، فاطّلعوا على الفلسفة اليونانية والاسلامية، هذا فضلاً عن إحاطتهم بالعلوم الشرعية كالفقه والحديث والتفسير، فكانوا بذلك موسوعيين وأصحاب ثقافة متنوعة، وظهور هذا النوع من التصوف يرجع إلى تطلع المتصوفة إلى معرفة الله وحقائق الموجودات انطلاقاً من اهتمامهم بالكشف، وقد ظهرت خلال القرن 3هـ/ 9م نظريات فلسفية مع بعض المتصوفة طبعت تصوفهم، وأصبحوا يُعرضون عن الدنيا ونعيمها لتتطهر أنفسهم أملاً في التقرب من الله والاتصال به.

وراحوا يتبنون عدة نظريات فلسفية طبعت تصوفهم وانعكس ذلك حتى على مؤلفاتهم وأشعارهم، فاستخدموا الرمزية وبالغوا في استخدامها مما انعكس على كلامهم إذ أصبح غير مفهوم عند غيرهم، وجاء ذو النون المصري (ت 245هـ/859م) بفكرة المعرفة في التصوف الإسلامي، واعتمد هؤلاء المتصوفة المصطلحات الغامضة ذات الدلالة الصوفية من أجل أن تبقى متداولة بين من يفهمها منهم دون غيرهم، حتى لا تسمعها الآذان الرجسة على حد تعبير ذي النون المصري، وجاءت نظرية الفناء مع أبي يزيد البسطامي (ت 260هـ/875م) ، أما الحلاج(ت 309هـ /922م) فقد تبنى **نظرية الحلول والاتحاد**، هذا فضلاً عن **نظرية الاتصال** التي جاء بها الفارابي (ت 339هـ/950م) ، ويرجع الفضل في إرساء أسس الإشراقية لشهاب الدين يحي بن حبش السهروردي (ت 580هـ /1191م) إذ عُرف بشيخ الإشراق.

وخلال القرنين 6-7هـ/ 12-13م عمد بعض المتصوفة إلى الاهتمام بعلوم المكاشفة، وأصبحوا يسعون للكشف عن الروح والملك والوحي والعرش والكرسي وأخذوا من الفلسفة وسيلة للتعبير عن نظرياتهم، وبرزت بذلك آراء ونظريات عكست مدى تأثرهم بالفلسفة وعرف التصوف الفلسفي ذروته خلال هذه الفترة فظهر مذهب **وحدة الوجود** و**الوحدة المطلقة**.

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي - جامعة زيان عاشور الجلفة

المحاضرة3: حركة الزهد بالغرب الاسلامي.

1- تعريف الزهد:

1-1- لغة:

هو عكس الرغبة، ويقال زهد في الشيء وعن الشيء أي خلاف الترغيب فيه، والقول فلان يتزهد بمعنى يتعبد.

1-2- اصطلاحا:

تعددت أقوال الزهاد والصوفية في الزهد، ففيهم من رأى أنه ترك ما يشغل عن الله ولا ينفع في الآخرة، والزهد في الدنيا سبب محبة المولى تعالى.

2- الزهد بالغرب الاسلامي:

كان للفتوحات الإسلامية دورا هاما في نشر الزهد بالغرب الاسلامي الذي ميز حياة الفاتحين أنفسهم، إذ عملوا على الجهاد من أجل نشر العقيدة الإسلامية بشكلها البسيط، نذكر منهم البـهلول بن راشد الزاهد الورع التقي، كما عرفت **حركة الزهد بإفريقية** ازدهاراً مع القاضي سحنون بن حبيب التنوخي (ت 240هـ/854م) وأتباعه من الزهاد، حيث قال عنه أبو العرب "اجتمعت فيه خلال ما اجتمعت في غيره: الفقه البارع والورع الصادق والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة والترك ألّا يقبل من السلطان شيئا"، فكان العُبَّاد من ضمن الطلبة الذين يحضرون مجلسه أملاً في الاستفادة من علومه ومحاولة منهم للوصول إلى سبل النجاح في الآخرة، فهذا أحد طلبته قد استخدم الشعر وسيلة للدفاع عن العقيدة ومحاربة البدع، ودعا إلى توحيد الله في قوله:

تهتك الستر عن ذي الغيّ والفـــند ... وحصحص الحق بعد البغي واللّـدد
وأيقن المشرك الداعي له ولـــــداً ... بأن الله لم يولد ولم يـــــــــلد
لا موت يدركه لا شيء يشبهـــــه ... يبلى الآباد ولا يبلى على الأبـــــد
لا وسيح ابن آدم من عاصٍ لخالقه ... ومن مصرّ على الآثام معتقـــــد

ونجد أبو عمرو بشير بن عمروس المتعبد الذي رابط في المنستير وكان من الزهاد المنقطعين الى الله عزّ وجل، ومن رهبان الليل لا ينام منه الا قليلا، وعندما يصبح يقول:" أصبحت ونفسي وقلبي مصران على محبتك، مشتاقتان الى لقائك فعجّل سيدي بذلك قبل أن يأتي الليل"، ومما أثر عنه عدم استقباله حكام افريقية في بيته ولايخرج اليهم.

وساهم بذلك المذهب المالكي في نشر حركة الزهد والتقشف، فمما أوثر عن فقهاء القيروان المالكيين عدم رضوخهم لرغبات الأمراء وإغراءات الحياة اذ شكلوا مثالاً للزهد، وخلال القرن الرابع للهجرة/ القرن العاشر للميلاد زاد انتشار الزهد حيث كثُر عدد الزهاد، منهم الحارث بن أسد القفصي وجِبِلة بن عبد الرحمان بن جِبِلة الصدفي الذي عُرف بزهده وورعه، وكان والده من أصحاب السلطان مما اضطر جِبِلة إلى التخلي عن أموال والده وتبرأ منها، إلى جانب أبي الفضل العباس بن محمد الصوّاف القداسي (ت 349هـ/ 969م)، وكذلك محمد الخيّاط الواعظ الملقب بابن قمرة المتقشف.

وكان لإفريقية أثر على العلماء والطلبة الوافدين إليها من **المغرب الأوسط** أمثال الشاعر بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي (ت 296هـ/909م) الذي أخذ عن سحنون أثناء تواجده بالقيروان. وقد غلب على شعره الوعظ والزهد لأنه كان عالماً زاهداً في الدنيا، ومما نظمه في الاعتبار بالموت ما يلي:

لقد جمعت نفسي فصدت وأعرضت ... وقد مرقت نفسي فطال مروقها
فيا أسفى من جنح ليل يقودها ... وضوء نهار لا يزال يسوقها
إلى مشهد لابد لي من شهوده ... ومن جرع للموت سوف أذوقه

وبوهران اشتهر سيدي هيدور الزاهد المتعبد بجبلها، الذي سمي باسمه وبقي كذلك إلى غاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حيث تغير اسمه، ونذكر ايضا صاحب الكرامات أبو المنيب محمد بن يانس الذي اشتهر بدعوته المستجابة وهو صاحب خشوع وانابة، كان يتعبد في غار ويمكث فيه مدة طويلة ومعه زاده.

امتد تأثير القيروان الى **صقلية** فانتشر فيها تيار الزهد، وذلك بحكم علاقتها بإفريقية منذ فتح المسلمين لها حيث مال أهلها للجهاد والمرابطة، ومع قيام الدولة الفاطمية وسيطرتها على صقلية زادت حركة الزهد ولعب القضاة الذين هاجروا من إفريقية إليها دوراً في نشر الزهد وعلى سبيل المثال نذكر أبو عمرو ميمون بن عمرو (ت 310هـ/992م) الذي زهد في حياته وتقشف، ومن زهادها الذين اتبعوا طريقة التصوف أبو القاسم عبد الرحمان البكري الصقلي، وظلت القيروان منبعاً ينهل منه الطلبة والعلماء الوافدون إليها، خاصة في مجال الزهد إلى غاية سنة 449هـ/1057م حيث خُربت على إثر قدوم الهلاليين إليها.

احتفظت لنا كتب التراجم كالصلة لابن بشكوال وتاريخ العلماء لابن الفرضي بأسماء الزهاد **ببلاد الأندلس** التي عرفت انتشاراً واسعا لنزعة الزهد، وتجلت مظاهر الزهد والتقوى في مجموعة من العلماء الأندلسيين الزهاد كأبي الأجنس الذي زهد في طعامه واقتصر على أكل ثلاث وجبات كل سبعة أيام في شهر رمضان، وقد عاش بين سنتي 180-206هـ/796-822م وسعيد بن عمران بن مشرف(ت 275هـ/888م) هو الآخر كان كثير الإحسان وبلغ به الأمر إلى أن تصدّق بمعظم ميراثه على الفقراء، هذا فضلاً عن يُمن بن رزق صاحب المؤلَف الذي سماه " كتاب الزهد"، غير أنه قد برز من الزهاد الأندلسيين من زاوج ما بين الزهد والجهاد، وحسبنا في ذلك نِعْمَ الحلف بن أبي الخطيب الذي أُستشهد سنة 298هـ/910م، وبرزت حركة ابن مسرّة (269-319هـ/ 883- 931م) الذي مزج الزهد بالفلسفة والتصوف واستطاع أن يؤثّر في الناس بالأندلس العامة منهم والخاصة، فانتشرت بذلك أفكاره في عدة مناطق بداية من قرطبة، هذه الأخيرة التي برز فيها محمد بن أبي زمنين (ت 399هـ/1008م) الذي تشبع بأفكار ابن مسرة، واتبع طريقة الصالحين وتفنن في الزهد فألّف فيه.

هذا دون أن ننسى فضل العلماء الوافدين إلى بلاد الأندلس في نشر نزعة الزهد، كأحمد بن قاسم بن عبد الرحمان التميمي التاهرتي البزّاز الذي جاء إلى قرطبة سنة 317هـ/ 930م رفقة والده واشتهر بزهده في الدنيا، كما رحل إليها أحمد بن مخلوف المسيلي المعروف

بالخيّاط حيث عمل على المرابطة بإحدى ثغورها للجهاد، وممن أعرضوا عن الدنيا وكانوا فيها من الزاهدين عبد الله بن محمد المعروف بابن الحاج(ت 419هـ/1028م)، والقاسم بن الفتح المعروف بابن الربوي(ت 45هـ/ 1059م) الزاهد المتقشف وقد رحل إلى المشرق وأشعاره في الزهد كثيرة.

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي - جامعة زيان عاشور الجلفة

المحاضرة 4: عوامل انتشار التصوف بالغرب الاسلامي

إن انتشار التصوف بالغرب الإسلامي لدليل على أنه قد توفرت عوامل تشبه تلك التي أفرزته بالمشرق ليمد بجذوره إلى الغرب الإسلامي الذي شكل البيئة الملائمة له، فانتشار التصوف كان نتيجة لتراكم عدة عوامل سياسية ودينية واقتصادية واجتماعية، فلا يمكن رد ظهور التصوف وانتشاره بالغرب الإسلامي إلى عامل معين لأنه كان نتاجاً لتفاعل مجموعة من العوامل تمثلت فيما يلي:

1- تواصل انتشار حركة الزهد بالغرب الاسلامي.

2- انتشار الربط والزوايا:

انتشرت الربط والزوايا بالغرب الاسلامي وكان لها أثر كبير في انتشار التصوف حيث وفّرت المأوى للمريدين وضمنت لهم لقاء كبار الزهاد والمتصوفة والأخذ عنهم مما ساهم في تواصل انتشار التصوف، فاتخذت بذلك القيروان رباطاً للدفاع عن المسلمين من غارات الروم، وزاد انتشار الربط فأنشأ الأغالبة رباط سوسة وعرف برباط المنستير، واشتهرت الربط عندهم باسم **القصور والمحارس**، وعمل المرابطون في هذه الربط على الاهتمام بالتدريب العسكري والفروسية وفي وقت السلم اهتموا بالجانب العلمي كحفظ القرآن الكريم وتفسيره، إلاّ أن الربط لم تظهر بالمغرب الأوسط إلاّ بعد القرن 5هـ/ 11م ويرجع ذلك لحركة الجهاد البحري التي كانت المراسي مركزاً لها فنابت عن حركة المرابطة، وأنشأ أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني الأندلسي رباط بونة، كما نجد قصر اللؤلؤة ببجاية، ورباط ملالة الذي فرّ إليه ابن تومرت خوفا من الحماديين، وقد أقام فيه شهر رمضان لسنة 512هـ/ 1118م يلقي فيه دروساً للطلاب الذين كانوا يجتمعون حوله، وبوهران نجد رباط صلب الكلب الذي عُرف فيما بعد مع الموحدين باسم صلب الفتح، واعتاد طلبته ختم القرآن الكريم في ليلة 27 رمضان وكان يجتمع فيه العبّاد، إضافة إلى مرسى ندرومة الذي احتوى رباطاً تبرك به.

ومن الربط بالمغرب الأقصى رباط شاكر الذي جمع بين جهاد كفار برغواطة والتعليم ورباط هرغة ببلاد السوس وأصيلا ورباط نفيس الذي أنشأه واجاج بن زلو اللمطي وسماه بدار المرابطين، وكان يلقن فيه طلبته العلم والقرآن الكريم، وقد تشبع فيه عبد الله بن ياسين الجزولي بمبادئ الزهد والتقشف والورع والإخلاص والجهاد في سبيل الله، وساهم هو الآخر بإنشاء رباط كان نقطة بداية نشوء دولة المرابطين، وعمل ابن تومرت هو أيضاً على تكوين دعاة في رباط تينمل وكُلّل ذلك بقيام دولة الموحدين، يلاحظ وجود نوعين من الربط بالغرب الاسلامي ربط شكّلت مدن بكاملها كرباط ماسة ورباط تيط، ورابطة زرهون التي كانت مركزاً لاجتماع المتصوف أبي عبد الله محمد بن موسى الأزكاني مع الصالحين، وأخرى كانت لمرابطة المجاهدين.

عرفت صقلية هي الأخرى حركة المرابطة والربط، إذ قصدها الزهاد والمرابطون بعد فتحها من قبل الأغالبة وباتت رباطاً للجهاد، وخلال زيارة ابن حوقل لها سنة 362هـ/973م وجد بها " رباطات كثيرة على ساحل البحر"، أما بلاد الأندلس فقد قامت فيها الربط هي الأخرى لحمايتها من ضربات النصارى كرباط المرية، ورباطي عمروس والخشني وهما بجوار المرية، ورباط روطة.

ومع بداية النصف الأول من القرن 6هـ/12 م بدأ الرباط يفقد وظيفته العسكرية والمتمثلة في الحراسة وبات المرابطون فيه يعملون على ممارسة العبادة والذكر، واتخذ شكلا آخر عُرف بالرابطة كرابطة القابطة أو القبطية ورابطة العقاب بالأندلس التي كان يتردد عليها ابن سبعين والششتري من حين لآخر مع أتباعهما، يلقون فيها دروسهما.

أسهمت الدولة المرينية في بناء الزوايا الأمر الذي زاد في انتشار حركة التصوف أكثر ومن الزوايا المرينية نذكر الزاوية المتوكلية بفاس والزاويتين القديمة والحديثة بمكناس.

3- الرحلات ومؤلفات المتصوفة:

لعبت الرحلة دورا كبيرا في انتشار التصوف بالغرب الاسلامي وجسدت التأثير المشرقي على المتصوفة المغاربة، فنجد ابن مسرّة قد رحل إلى القيروان ثم حج إلى مكة حيث التقى أبا سعيد بن العربي، الذي أخذ رواية الحديث على مذهب أهل السنة ستاراً عمل عن طريقه على تعليم وشرح دقائق آراء الصوفية، فتأثر به ابن مسرة واتضح ذلك بعد عودته إلى قرطبة واتخاذه من جبلها مكاناً خاصاً به يلتقي فيه مع أتباعه يشرح لهم فيه تعاليمه سراً ، في حين كان يُظهر للفقهاء ما لا يتطابق مع تعاليمه الفلسفية وهو صاحب مؤلف بعنوان خواص الحروف وحقائقها وأصولها، ورأى أنخل بلنثيا على أن طريقة حياته مع جماعته بالجبل تتشابه مع ما كان عليه ذو النون المصري، والمتصفح لكتابه الحروف يتبين له تأثره بما كتبه التستري في علم الحروف ومن الممكن لقاؤه بتلاميذه عند تواجده بالمشرق، إذ كانت له رحلتان إلى هناك طال بقاؤه بالمشرق في إحدى الرحلتين، ومن المحتمل أن ذلك قد سمح له بالالتقاء بالعديد من المتصوفة، ورحل أبو مدين شعيب إلى المشرق ولقي الشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه. وتتلمذ القاضي أبو بكر بن العربي (ت 543هـ/ 1148م) على يدي الغزالي واتبع طريق التصوف حيث أخذ عليه كتابه " الإحياء". كما اسهمت الرحلات الداخلية بين حواضر الغرب الاسلامي في نشر التصوف.

ومن مظاهر التأثير المشرقي أيضا رواج مؤلفات المتصوفة المشارقة في الغرب الاسلامي فإلى جانب تتلمذ العلماء المغاربة للمشايخ المشارقة حملوا معهم مؤلفاتهم ونقلوها الى بلدانهم لتدريسها، مثلما فعل القاضي ابو بكر بن العربي الذي أدخل الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري(ت 465هـ/ 1072م) إلى الأندلس، إلى جانب كتاب " المستصفى" لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ /1111م)، وأدخل أبو بكر محمد بن نعمة القرشي كتاب" قوت القلوب" لأبي طالب مكي، هذا فضلا عن كتاب "الرسالة القشيرية" لأبي القاسم القشيري الذي درّسه أبو مدين شعيب لتلامذته، كما نقلوا معهم كتاب "الرعاية لحقوق الله" للمحاسبي الذي درّسه عبد العزيز التونسي(ت 486هـ/1093م) في مجالسه، ودرّس أبو علي الصدفي (ت في النصف الأول من القرن 6هـ/12 م) لطلبته بمرسية مصنفات الصوفية التي جُلبت من المشرق "كآداب

الصحبة" للسلمي و "رياض المتعلمين" و "حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصفهاني، ودرّس أبو المطراف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي (ت 658هـ/1259م) تلحيقات السهروردي ببجاية، غير أن كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي كان أكثر المؤلفات انتشارا بالغرب الاسلامي.

بيد أننا نجد متصوفة الغرب الإسلامي قد ساهموا بأنفسهم في نشر التصوف من خلال ما ألفوه من كتب في هذا المجال، كمؤلفات عبد الحق الإشبيلي وابن العريف وغيرهما، ومؤلفات أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي(ت 380هـ/990م) التي عرفت رواجا في صقلية.

4- العوامل السياسية:

شكلت حياة الأئمة الرستميون قدوة لغيرهم وعاملا مهما لانتشار التصوف، فهذا الامام عبد الرحمان بن رستم قد وجده رسل الاباضية عند قدومهم الى تيهرت على سطح داره، فنزل وغسل يديه من الطين ثم توضأ وضوء الصلاة ولما دخل عليه القوم وجدوا "رجلا جالسا على حصير فوقه جلد وليس في بيته شيىء سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه ورمحه وفرس مربوطة في ناحية من داره"، وفي ظل التعصب العقدي الذي ميز سياسة المرابطين وخضوعهم للفقهاء، ظهرت مجموعة من الزهاد والمتصوفة ممن أرادوا تغيير تلك السياسة ومحاولة التفتح والاطلاع على العلوم المحضورة في عهدهم، وقد ساهم الأمراء المرابطون في نشر التصوف وذلك بترغيب الناس في الزهد فحياتهم غلب عليها الزهد والتقشف، كعبد الله بن ياسين مؤسس دعوتهم الذي مكث بين الجدالين "متورعاً عن أكل لحمانهم وشرب ألبانه لما كانت أموالهم غير طيبة وإنما كان عيشه من صيد البرية "، ويوسف بن تاشفين الذي " كان رجلاً فاضلاً زاهداً يأكل من عمل يده كثير الخوف من الله عزّ وجلّ "، لبس الصوف وإعتاد على أكل الشعير وأحب الفقهاء والأولياء وكان يقربهم منه، وابنه علي هو الآخر كان "إلى أن يعدّ في الزهاد والمتبتلين أقرب منه أن يعدّ في الملوك والمتغلبين".

وقامت الدولة الموحدية كنظيرتها المرابطية على أسس دينية وذلك بفضل مؤسسها المهدي بن تومرت الذي سنّ لأتباعه مذهب التوحيد، وكان "ورعاً ناسكاً متقشفاً"، ولرحلته إلى بلاد المشرق في طلب العلم وتحصيله الأثر البالغ في تكوينه المذهبي، والحقيقة أن تتلمُذه على أئمة الأشعرية وأخذه عنهم كان له الأثر الكبير في تكوين مذهبه، إلاّ أنه خالفهم في بعض المسائل كنفيه لصفات الله، هذا إلى جانب أن استخدام المهدي للعقل كأساس لعقيدته وقوله بالتأويل في القرآن الكريم كان له الأثر البالغ في بروز نخبة من المتصوفة ممن عملوا على رفض الحجج العقلية التي نتجت عن هذه العقيدة، ومحاولة استبدالها بعقيدة أبسط تقوم على ما كان عليه السلف الصالح ليسهل على الناس إتباعها، فقام تصوفهم على الزهد والتقشف والإقبال على المولى عزّ وجلّ في الباطن والظاهر.

واصل الموحدون بعده فرض تدريس المذهب الأشعري من خلال ما أُلّف فيه كمؤلفات الغزالي إلى جانب استخدامهم التأويل الذي اعتمد عليه مذهب دولتهم، وقد عرف التيار الصوفي الفلسفي ازدهاراً في عصر الموحدين نظراً لوجود حركة تشجيع للفلسفة التي تبناها الخليفة أبو يعقوب (ت 580هـ/1184م)، الذي أقدم على تعلم الفلسفة وأحرق كتب المذهب المالكي بعد تجريدها من الأحاديث والقرآن الكريم وفي مقدمتها مدوّنة سحنون من أجل القضاء على هذا المذهب ومحوه، فكان بذلك لسياسة أبي يعقوب اتجاه الفلسفة الأثر البالغ في ظهور متصوفة أصحاب النزعات الفلسفية، كما وجد فكر الغزالي ضالته للعودة من جديد وبقوة.

شجع سلاطين بنو مرين حركة التصوف واقتفوا أثر من سبقوهم في الاعتناء بالمتصوفة وبذل العطاء لهم وتوفير حاجاتهم، إذ كان أغلبهم محبين للمتصوفة ويتقربون منهم ويشركونهم في مجالسهم، واشتهر هؤلاء السلاطين بالسيرة الحسنة والتقوى والصلاح والورع وشكّل هذا عاملا مهما ساعد على انتشار التصوف.

5- العوامل الاقتصادية والاجتماعية:

ساهمت الأزمة الاقتصادية في بروز تيار صوفي دعا إلى الفقر والتقشف في الدنيا، مما دفع الكثير من الناس إلى الدخول في التصوف فنجد منهم من كان صاحب مال وجاه إلاّ أنه تخلى عن ذلك كله أمثال أبو محمد صالح بن عمر الذي زهد في الدنيا وهو من أرباب الدولة، وأبو عمران موسى (ت 594هـ/1197م) وهو من ذوي المال والمسرفين وغيرهما كثير. غير أن هذا لا يجعلنا نهمل دور الثراء، إذ نجد أن معظم المناطق التي اقترن اسمها باسم أشهر المتصوفة كانت من ضمن المناطق الثرية، وفي المقابل رافق ظاهرة الثراء والرخاء التي عرفتها تلك المدن تيار دعا إلى الزهد والفقر، فهذه تلمسان برز فيها من المتصوفة من مثّل حياة الزهد والتقشف وحمل لواء التصوف كأبي مدين شعيب وتلامذته من بعده، وبجاية نجد بها أبي علي الحسن المسيلي (ت 582هـ/1186م) ، وغيره ممن نادى بالزهد والتقشف مع اتّباع الشريعة، والمرية برز فيها ابن العريف الذي دعا إلى الزهد في كل شيء ما عدا الله.

عرف مجتمع الغرب الإسلامي فوارق طبقية ففي العصر المرابطي مثلا برز الفقهاء والقضاة وذلك نتيجة قيام الدولة على أساس ديني، لذا احتل المنشغلون بعلوم الدين مكانة مرموقة ومميزة في المجتمع، وأصبح الفقهاء يستقبلون بشكل يشبه ما يستقبل به الأمراء عند دخولهم المدن، فاشتغلوا في التجارة وسكنوا منازلاً كالقصور. وذاع صيتهم واشتهرت أسرهم كأسرة بني حمدين بقرطبة، وأسرة بني عيّاض بسته، واختلف بذلك فقهاء هذا العصر عن الفقهاء الذين رأى فيهم ابن خلدون الفئة التي لا تكثر أموالها في أغلب الأحيان لانشغالها عن الدنيا بأمور الدين، وتتعرضوا للنقد اللاذع من قبل الشعراء فهذا أبو جعفر أحمد بن محمد قد وجه أبياتاً شعرية للقاضي أبي عبد الله محمد بن حمد بن قاضي قرطبة قال فيها:

أهل الرياء لبستمو ناموسكـــــم كالذئب أُدلج فى الظلام العــاتم
فملكتمو الدنيا بمذهب مالـــــك وقسمتوا الأموال بابن القاســـم
وركبتمو شهب الدواب بأشهـــب وبأصبغ صبغت لكم فى العالـم

وقد شكّلت الخلافة الموحدية ملكاً دنيوياً وانحصرت على عبد المؤمن وأولاده، وتصدرت قبيلة كومية قائمة القبائل المقربة من الخليفة إذ صارت من أعظمها عند الموحدين،

واحتلت بذلك الصدارة لكون الخلفاء الموحدون منها، وفي ظل الطبقية تأثرت طبقة العـامة وتدهورت أوضاعها وانعكس ذلك على كل الميادين دون استثناء مما زاد الهوة بينها وبين باقي الطبقات الأخرى، وقد عانت طبقة العامة إبّان هذه الفترة من الاضطهاد جراء كثرة الضرائب وغلاء الأسعار، وانتشرت بالمجتمع خلال العصر الوسيط عدة آفات اجتماعية وتغلغلت فيه وشكّلت عاملاً مساعداً على بروز تيار التصوف، وكان في مقدمتها عادة شرب الخمر التي انتشرت صناعتها وازدهرت خلال القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي، فعمّ شربها عند العامة والأمراء، إلى جانب هذا كله عانى المجتمع بالغرب الإسلامي من انتشار المجاعات، ناهيك عن كثرة الأوبئة والأمراض كالوباء الذي أصاب مراكش سنة 571هـ/1175م، إذ ذكر ابن عذارى أنه "لم يعهد مثله فيما تقدم من الأزمنة قبله وانتهى عدد الأموات في كل يوم إلى مائة وتسعين شخصاً وأكثر... ودام هذا الطاعون بقية سنة إحدى وسبعين وذلك مدة سنة كاملة " هذا دون أن ننسى ما خلّفته الكوارث الطبيعية من آثار جسيمة، فبلاد الأندلس مثلاً تعرضت لسيول وفيضان بعض الأنهار خلال فصل الشتاء، وأدى ذلك إلى هلاك عدد كبير من الناس ففي سنة 481هـ/1088م عرفت بلنسية سيلاً دمرها إلى جانب ما جاورها من القرى وفي خضم تلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تخبط فيها المجتمع برزت فئة المتصوفة ممن أرادوا إعادة التوازن للمجتمع ومحاولة محاربة الآفات التي انتشرت فيه، ومن هؤلاء الذين نشدوا المثل العليا أبو يعزى الذي أخذ على عاتقه محاربة ظاهرة الزنا، كما أن أبا الفضل ابن النحوي راح هو الآخر يصف تذمره من أحوال المجتمع بتلمسان في أبيات شعرية ومما قاله:

أصبحت فيمن له دين بـلا أدب ومن له أدب عار من الديـــن
أصبحت فيهم فقيد الشّكل منفرداً كبيت حسّان فى ديوان سحنون

وهذا إن دلّ على شيء دلّ على أن تيار التصوف كان ينشط أكثر خلال الظروف الحالكة التي مر بها المجتمع، لما كان يقدمه من حلول وأنه على دراية بما يجري فيه، كما أن تيار التصوف جاء لإحداث التوازن بين طبقات المجتمع، إذ آثر أصحاب هذا التيار الفقر

والتقشف على ملاذ الدنيا وشهواتها، ومجدوا الفقر، وذلك حتى يواسوا الفقراء والمساكين، وممن اشتهر بكثرة الإحسان إلى هذه الفئة أبو العباس السبتي الذي احترمهم ودعا إلى ضرورة مساعدتهم وعدم تحفيزهم.

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي - جامعة زيان عاشور الجلفة

محاضرة 5: أقطاب التصوف بالغرب الاسلامي

أبدع متصوفة الغرب الاسلامي ولمعت أسماؤهم مع نظرياتهم الصوفية وعرفت رواجا بالعالم الاسلامي، وسنذكر في هذه المحاضرة **أبرز أقطاب التصوف**.

1- أقطاب التيارات الصوفية السنية:

1-1- عبد الحق الاشبيلي(510-581هـ/1116-1185م):

من تلامذة المتصوف أبو مدين شعيب وحضر مجالسه، وعاصر ببجاية المتصوف أبا علي المسيلي(ت580هـ/1184م) المتأثر بأفكار الغزالي الصوفية، كما روى عن ابن برجان، وقد لزم الزهد فتقلل من الدنيا، وعند تواجده ببجاية عمل على التدريس ونشر العلم بها واشتهر بالتزامه السنة، وحارب أصحاب البدع والشعوذة فكان يقول:

لا يخدعنّك عن دين الهدى نفـرٌ لم يرزقوا فى التماس الحق تأييدًا
عُميُ القلوب عُروا عن كلّ فائدة لأنهم كفروا بالله تقلـــــــــــدًا

اجتهد في تقسيم يومه إلى عدة أقسام، فكان يدرّس بعد صلاة الصبح في الجامع حتى الضحى يصلي ثماني ركعات ويعمل على التأليف بمنزله إلى وقت الظهر، فإذا صلى عاد إلى التدريس إلى غاية العصر" فإذا صلى مشى في حوائج الناس"، أما ليلة فقد قسّمه هو الآخر إلى ثلاثة أقسام ثلثا للقراءة وثلثا للعبادة وثلثا للنوم، واجتمع حوله أتباعه الذين حرصوا على الاستفادة منه قدر المستطاع، والنهل من علومه واتجاهه الصوفي، وقد تتلمذ على عبد الحق الاشبيلي مجموعة من الأتباع أخذوا على عاتقهم نشر اتجاهه الوعظي الصوفي، أمثال علي بن محمد بن علي المعافري المالقي(ت605هـ/1208م).

1-2- أبو زكرياء يحيى الزواوي(ت611هـ/1214م):

كانت له رحلة الى المشرق وبعد عودته استقر ببجاية، هو من أقطاب تيار الترغيب والترهيب، أقام ببجاية بعد عودته من المشرق، وعمل على نشر العلم فدرّس بها الفقه والحديث، وكان ينقطع طيلة شهر رمضان مختليا بنفسه، إلاّ أنه كان يتعبد بمسجده وغلبت عليه حالة الخوف فعمد في مجالسه إلى تذكير الحاضرين بالنّار والأغلال والسّعير، وفي الوقت نفسه كان

يبسط أمالهم ورجاءهم في رحمته عزّ وجلّ ومغفرته، فكان الناس يتوافدون على مجلسه وفي شهر رمضان كان يحدد وقتا للقراءة وتفسير القرآن الكريم، وبعد صلاة الظهر يلقي على طلبته أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حرص على وعظ الناس حتى قبل وفاته، إذ عقد مجلسه وأخذ يتكلم فيه على رحمة الله وغلب على مجالسه أسلوب الترهيب حيث يُذكّر الحاضرين بالنار والأغلال والسعير، وفي المقابل يبسط آمالهم في رحمة الله ومغفرته الواسعة ومغفرته التي وعد بها عباده الصالحين وتجاوزه عن سيئاتهم، وأسلوبه هذا لاقى استنكارا ونقدا من متصوفة الغرب الاسلامي.

2- أقطاب التيارات الصوفية السنية الفلسفية:

2-1- أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري الملقب بالغوث(ت594هـ/1197م):

كان راعيا للغنم في حصن قطيانة بالأندلس وهو أصغر اخوته ، تمكن من الفرار الى طنجة ثم سار الى سبتة ثم منها الى مراكش حيث التقى جماعة من الأندلسيين، وبدخوله لفاس التزم جامعها وتعلم بها فتنقل بين الحلقات التي كانت تعقد في أرجاء المسجد، كان لقاءه ببعض المشايخ السبب في تعلمه فتتلمذ لأبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي بفاس، وأبي الحسن علي بن غالب القرشي(ت568هـ/1172م) وهما ممن تتلمذ عن ابن العريف، وأخذا عنه تصوفه القائم على الزهد في كل شيئ ماعدا الله، وأخذ العلم أيضا عن أبي عبد الله الدقاق الذي اعتمد أسلوب المجاهدة النفسية في تصوفه، وأبي الحسن السلاّوي، إلى جانب أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم الذي سمع عليه رعاية المحاسبي، إلاّ أنه انتفع واستفاد أكثر من أبي يعزى يلنور (ت572هـ/1176م) الذي ألزمه القيام بالمجاهدات والرياضات كالصيام، إذ تركه دون طعام لمدة ثلاثة أيام وذلك لتطهير نفسه،

وكان أبو يعزى يثني عليه كثيرا وقد تأثّر به حتى أنه فضل الأخذ عنه، وعند انتقاله إلى المشرق أخذ عن مشايخه تعاليم ومبادئ المتصوفة الكبار أمثال الجنيد والقشيري والغزالي، والتقى أثناء تواجده بعرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني (ت560هـ/1164م) وتأثّر بأفكاره ومبادئه وقرأ عنه الحديث، كما ألبسه خرقة التصوف، ثم رجع الى بلاد المغرب حيث أقام

ببجاية واجتمع حوله المريدون فتخرج على يديه عدد كبير، لقب بشيخ مشايخ الاسلام وامام العباد والزهاد، من أقواله: "من لم يجد في قلبه زاجرا فهو خراب"، وقال ايضا: " مقامي العبودية، وعلومي الألوهية وصفاتي مستمدة من الصّفات الربّانية، ملأت علومي سرّي وجهري وأضاء بنوره برّي وبحري"، واستطاع أبو مدين شعيب بآرائه التي برز بها في التصوف أن يوافق بين عدّة نظريات صوفية تقمصها من خلال ثقافته المشرقية والمغربية والأندلسية، التي ضمنت له ذلك فدمجها وخلص في الأخير إلى مذهب صوفي حمل أفكاره، وفي الوقت نفسه حافظ على نظريات شيوخه فتضمن منهج محاسبة النفس الذي أخده عن الرعاية للمحاسبي بقوله :"بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة"، ووافق كل من المتصوفين المشرقيين القشيري والغزالي فيما يتعلق بفراغ القلب عمّا سوى الله، إلى جانب قوله بقدرة القلب على إدراك الحقيقة الإلاهية وهو ما قال به الغزالي، كما أنه أكّد نظرية المتصوف ابن العريف فيما يخص الحب الإلاهي وفناء المريد المحب في محبوبه. استدعاه السلطان لمحاكمته بعد الوشاية به توفي في طريقه الى مراكش.

2-2- أبو يعزى بن ميمون يلنوّر (ت572هـ/1176م):

ولد في عائلة فقيرة اسود اللون كان يؤثر رواد المساجد على نفسه في الأكل، اشتغل راعيا للغنم صاحب كرامات كثيرة، اشتهر بالأمي، وصِف بالقطب، وكانت العامة تدعوه باسم مولاي بوعزة على سبيل التعظيم له، وقد كان كثير الخلوة والسياحة إذ ساح في البر مدة خمسة عشرة سنة، وأخذ طريقته عن أبي شعيب السارية وأبي الحسن علي بن حرزهم، وساهم هو الآخر في نشر أفكاره وتلقينها لأتباعه الذين كانوا يكثرون من الثناء عليه كالمتصوف أبي مدين شعيب الذي قال فيه: "رأيت أخبار الصالحين من زمان أويس القرني الى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى"، كما عُظّم من قبل العامة التي التمست منه الدعاء وتبركت به ، فذاع صيته في عدة مناطق اشتهر بأكله لورق الدفلى رغم مذاقه المر.

2-3- علي بن اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن حرزهم(ت559هـ/1163م):

فقيه حافظ زاهد في الدنيا، من أهل فاس عكف على قراءة كتاب "احياء علوم الدين" للغزالي وكان ممن دافع عن هذا المؤلف، عُرف بالعالم الفذ الواسع الاطلاع والمعرفة بعلوم عصره، أشرف على تعليم بعض أمراء صنهاجة وتصدق بميراثه على أخيه، وقد وقف الى جانب المتصوف ابن برجان الذي قتلته السلطة المرابطية ورمت بجثته فأمر بدفنه، توفي بفاس سنة559هـ/1163م.

2-4- أبو الفضل ابن يوسف بن النحوي(ت513هـ/1119م):

شبّه بالغزالي في علمه، وحرص على إتباع الشرع، والفقه المالكي الذي أشاد بإمامه مالك، وتأثره بالغزالي بدا واضحا جليا من خلال اعتنائه الكبير بكتابه الأحيّاء حتى أنه دافع عنه بشدة عندما أفتى الأمير المرابطي بإحراقه، فأكد بطلان تلك الأيمان التي حُلّفت بها العامة وكتب بنصرته للإحياء إلى الأمير علي بن يوسف، وقام بنسخه في ثلاثين جزءا وعمل في شهر رمضان على قراءة جزء منه كل يوم وقال: "وددت أني لم انظر في عمري سواه"، وقد غلبت عليه حالة الحضور مع الله فكان يصلي ولا يأبه بكثرة اللغط والأصوات بداره، حتى أنه لم يحس بالسراج الذي أدناه ابنه من عينيه لقوة حضوره مع الله أثناء صلاته، وكان المتصوف أبو الحسن ابن إسماعيل بن حزرهم يتردد عليه لالتماس الدعاء منه فقد عرف ابن النحوي بدعوته المجابة حتى أنهم كانوا يتعوذون منها، أخذ عنه أبي عبد الله محمد بن الرمّامة الذي كان من أتباعه.

2-5- أبو العباس السبتي(524-601هـ/1129-1204م):

هو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي ولد بسبتة ونزل بمراكش التي توفي بها، قام مذهبه الصوفي على أساس الصدقة ومذهبه هو "أن الوجود ينفل بالجود"، وكان يقول دائما "افعل مع عبيد الله ما أردت أن يفعله الله معك"، كما أنه دعا إلى ضرورة إيثار الغير على النفس حتى نضمن أن نحب لغيرنا ما نحبه لأنفسنا، فراح يربط كل ما يجري في الحياة بالصدقة، وقد بنى مذهبه الصوفي في الصدقة على أساس قوله تعالى:﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾.

ومنذ أن علم معنى ما قاله المولى عزّ وجلّ في هذه الآية من أن العدل والإحسان هما مشاطرة الغير في المال عمل على التصدق بكل ما عنده، واستخدم القرآن لتدعيم مذهبه، وعمد إلى الدعوة لبذل الأموال للفقراء والمحتاجين، وجعل مبدأ التخلي عن الأموال والممتلكات للغير أساس الحياة، وحركته الإصلاحية هذه كانت دعوة اجتماعية إلى ضرورة مشاركة الغير في ما نملكه، لذا يمكن أن نعتبره قد دعا إلى مبدأ الملكية العامة. حارب الزهد في المظهر الخارجي فكانت ملابسه حسنة، حبس عليه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور زاوية بمراكش فاجتمع فيها بمريديه.

2-6- أبو الحسن الشاذلي(ت656هـ/1258م):

نسبة الى قرية شاذلة بأفريقية تلقى العلوم الشرعية وأتقنها، سلك التصوف وتتلمذ على يد مجموعة من المشايخ الذين كانوا تلامذة لأبي مدين شعيب كأبي محمد عبد السلامبن مشيش (ت625هـ/1227م)، كما أخذ بتونس عن أبي سعيد خلف الباجي التميمي، درّس برباط في جبل زغوان حيث لقن أتباعه الرسالة القشيرية وقوت القلوب والاحياء هذا الأخير تأثر بصاحبه كثيرا، وبما أنه تتلمذ على يد شيوخ أخذوا تصوفهم عن أبي مدين شعيب فمن دون شك أنهم لقنوه أفكاره، وهذا ما جعله يتأثر بمذهبه الصوفي إذ اعتمد على القرآن الكريم والسنة كأساس في سلوكه الصوفي وحافظ على أداء كل الفرائض، كما عمل على تطهير نفسه بالمداومة على الرياضات والمجاهدات حتى يخلص في الأخير إلى فراغ قلبه من أمور الدنيا وشهواتها.

حارب الزهد في المظهر حيث قال: "ليست الطريقة بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة انما هي بالصبر واليقين والهداية"، أقر في تصوفه بأن العقل البشري قادر على ادراك الحقائق الالهية، كانت له رحلة الى الاسكندرية حيث رابط بثغرها، اعتمد على القرآن الكريم والسنة كأساس في سلوكه الصوفي وحافظ على أداء كل الفرائض، كما عمل على تطهير نفسه بالمداومة على الرياضات والمجاهدات حتى يخلص في الأخير إلى فراغ قلبه من أمور الدنيا وشهواتها. توفي وهو في طريقه إلى الحج بصحراء عيذاب سنة 656هـ/1258م.

3- أقطاب التصوف الباطني:

3-1- أبو العباس أحمد بن العريف الصنهاجي(ت535هـ/1140م):

متصوف أندلسي من أقطاب التيار الباطني المعتدل من أهل المرية، ولي الحسبة ببلنسية وأقرأ بسرقسطة، تضمن كتابه "محاسن المجالس" أفكاره وناقش فيه المقامات (هي العبادات والمجاهدات والرياضات التي يقوم بها المريد من أجل الاتصال بالله وتتمثل في التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل) الصوفية التي يمر بها المريد من أجل الوصول إلى الله التي انطوت معانيها على المنحى الباطني الذي اتبعه، والذي قام على أساس رفضه للمقامات والأحوال (الأحوال تمثل الحالة النفسية التي يعيشها المريد في أثناء تقدمه في المقامات السابقة، وقد حصرها الطوسي في عشرة أحوال وهي: المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين) التي يسلكها المريد لأنه يسعى عبرها إلى مقام الفناء في الله المتعالي عن كل مخلوق، هذا إلى جانب أنه من يصل إلى مقام الفناء في الله يصبح حينها لا إرادة له ولا رجاء ولا شوق، ورفض ابن العريف للمقامات والأحوال كان مبنيا على أساس أنها من منازل العامة والاعتماد عليها يمنع السالك من الوصول إلى إدراك الحقيقة الالاهية، وهذا يفهم من قوله:

قد تاب أقوام كثير ومـــــا تاب عن التوبة إلاّ أنـــــا

أكد على أنه اتبع في مذهبه الشرع. توفي سنة 536هـ.

3-2- ابن قسّي (ت546هـ/1151م):

هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسّي من الأندلس وهو مُولَّد، بلغ شأوا كبيرا في شتى العلوم، نبغ في نظم الشعر وتصدق بكل أمواله في بداية سلوكه التصوف، ذكر ابن العربي ذكر أن الأستاذين الروحيين لابن قسي هما ابن خليل من لبلة وخلف الله الأندلسي، "ابتنى رابطة بقرية جلّة من قرى شلب، كان يجمع بها دائرته التي دارت بها على الأندلس دائرة السوء، وادّعى الولاية"، وتسمى فيما بعد بالإمام أشار في كتابه "خلع النعلين واقتباس الأنوار من موضع القدمين" بأنه قد كشفت له الحقائق الالهية فقال:" وفُتح لي عن مغالق الأبواب وبطائن

الأسباب فرأيت حدائق الرحمة علما حقا وكشفا صدقا من غير حجاب"، ثار ضد المرابطين والموحدين من بعدهم.

4- أقطاب التيار الصوفي الفلسفي:

4-1- عبد الله الشوذي(ت أوائل القرن7هـ/13م):

تنسب اليه الطائفة الشوذية نزل إلى تلمسان في زي المجانين، وكان يبيع الحلوى للأطفال الذين ينقرون له فيشطح ويدور مردداً أشعاراً له في المحبة ولذا عرف بالحلوي، ثم ينصرف بعدها بركوبه قصبة على هيئة الفرسان وهو في كل ذلك يعمل على التستر على مذهبه الصوفي، عمل في مذهبه على الإحسان والصدقة فكان يتصدق بثمن الحلوى التي كان يبيعها للأطفال، وإلى جانب هذا اعتمد على حياة السياحة في الأرض في العديد من الأوقات للاختفاء عن الأنظار، كما نجده قد داوم على القيام بالمجاهدات كالصيام حتى أنه لم يأكل في النهار قط، وصرّح بمذهبه في الوحدة المطلقة في بعض أشعاره إذ قال:

إذا نطَقَ الوُجودُ أصاخَ قـومٌ بآذان إلى نُطق الوُجـــــود
وذاك النُّطق ليس به انعجامٌ ولكن دقَّ عن فهم البلـــــيد

رأى أن الله يحل في البشر فيكون بصرهم الذي يبصرون به وسمعهم الذي يسمعون به، وحينها يحصل لهم الكشف فيدركون بذلك حقائق الكون وأسراره، درّس بتلمسان وممن كان يحضر درسه أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن المرأة(ت610هـ/1214م) الذي لزمه مدة سنتين واقتصر الحلوي في تدريسه على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فضلاً عن الأدب، وقد قرأ عليه ابن المرأة بسم الله الرحمان الرحيم فتكلم له في فضلها عشرة أيام، وإلى جانب ابن المرأة التف حوله بعض المتصوفة.

4-2- أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي (ت637هـ/1239م):

من مرسية مال الى النظريات وعلم الكلام أحاط بالمذهب المالكي، قام تصوفه على أساس أن نور الله هو أساس كل الموجودات، ومما قاله: "من عرف نفسه عرف ربه". ويصرح عن مذهبه في قوله:

أشرقت أنفسنا من نـــــــوره فوجودُ الكلِّ عن فيض الكـرم
فترى النّفسُ عن عالمـــــها باختباءٍ ليس تُدنيه الهمـــــم
ليس يدري من أنا إلاّ أنـــــا هاهنا الفهم عن العقل انبـهـم

درّس بمسجد أبي زكريا الزواوي ببجاية تخرج على يده عدد كبير من الطلبة عملوا على نشر أفكاره الصوفية الاشراقية.

4-3- ابن سبعين(ت669هـ/1270م):

هو عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين اشتهر بلباسه الجميل وعُرف بابن دارة (وتعني الدارة عند بعض المغاربة سبعين)، قرأ على مذهب أبي عبد الله الشوذي من خلال ما صنّفه تلميذه ابن المرأة، غلب على ثقافته الفلسفة تولى الاجابة عن المسائل الفلسفية التي جاءت من صقلية الى عُلماء سبتة وسميت المسائل الصقلية، استخدم شطحات ورموز في تصوفه جعلته ينحو سلوك أتباع الوحدة المطلقة، مما أثار عليه حفيظة فقهاء مدينة سبتة وقد رأى نفسه راقيًا عن كل من الفلسفة والتصوف، وما يدل على ذلك هو استخدامه لمصطلح "المحقق" أو "المقرب" والذي يمثل أكمل أفراد البشر ورأى فيه أنه أشمل من الفقيه والفيلسوف والصوفي، توفي على إثر نزيف أصابه وهو بمكة مما حال دون زيارته لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته كانت سنة 669هـ/1271م.

4-4- ابن عربي (ت638هـ/1240م):

وهو محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي من مشايخه عبد الحق الاشبيلي، كما أخذ عن أبي عمران الميرتلي، وأبي الحسن بن حرزهم وأبي بكر بن العربي، وكان يلازم قراءة الرسالة القشيرية حتى عرف بالقشيري، وتتلمذ على يد العجوز المتصوفة نونة فاطمة بنت ابن المثنى القرطبية التي أخذ عنها مدة سنتين، ويعتبر ابن عربي امتدادًا لمدرسة ابن مسرة بالأندلس فقد كان بعض أساتذته متشبعين بأفكاره، قام تصوفه على وحدة الوجود وأن الوجود واحد في جوهره لكنه أكثر من ذلك في الظاهر، فقال: "سبحان من خلق الأشياء وهو عينها"، دعا الى وحدة الأديان فقال:

عقد الخلائق فى الإله عقائدًا عقد الخلائق فى الإله عقائدًا

استعان بالرسوم والتخطيطات والأشكال الهندسية لشرح أفكاره الصوفية الفلسفية مقتديا في ذلك بما فعله إخوان الصفا في رسائلهم فضلا عن استعانته بتفسير الأحلام، تعرض للنقد اللاذع لأفكاره التي شطح فيها فجاءت مناقضة لما يتقبله العقل البشري، وهذا ما تفسره كثرة أسفاره التي جال فيها عدة بلدان، ففي سنة 590هـ 1193م رحل إلى تونس ثم إلى فاس ليعود مرة ثانية إلى تونس سنة 598هـ/1201م، ثم رحل إلى المشرق فكانت له رحلة هناك إلى بلاد الشام وبلاد الروم وبغداد التي لقن فيها بعض مصنفاته التي كتبها، وقد أنكر عليه أهل مصر مذهبه حتى أنهم طالبوا بإراقة دمه.

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي - جامعة زيان عاشور الجلفة

المحاضرة6: التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي.

اختلفت مشارب المتصوفة الثقافية الأمر الذي أدى إلى تنوع اتجاهاتهم الصوفية، وتمثلت التيارات التي عرفها الغرب الإسلامي إبّان هذه الفترة في ثلاثة تيارات وهي:

1- التيارات الصوفية السنية:

اتبع أصحابها الشرع وابتعدوا عن الخوض في المسائل الفلسفية فكان تصوفهم بسيطًا، وتمثلت ملامحه في الزهد ومجاهدة النفس والإقبال على العبادة والأذكار والإكثار منها ونجمل هذه التيارات فيما يلي:

1-1- تيار المجاهدة النفسية:

نهج أصحابه أسلوب المجاهدات والرياضات كالصّيام والقيام والزهد في الحياة، واجتهد العديد منهم في أداء العبادات ومحاسبة النفس وتأنيبهم لها، وكان بعضهم دائم العبادة والحزن والخوف من الله، فقد عمي أبو زكريا يحي بن صالح من كثرة بكائه إلاّ أنه حرص في الوقت نفسه على العبادة، وأقبل أبو عبد الله محمد المعروف بابن الكتاني (ت595هـ /1198م) على القيام بالمجاهدات كالصيام والزهد في الدنيا، ولكثرة الرياضات النفسية التي داوم عليها " لم يبق منه إلا رسمه"، وقد وصف حالته هذه بعد صبره على تلك المجاهدات في قوله:

وما أبقى الهوى والشوق منـي سوى نفس تردد في خـــيال
خفيت عن المنية أن ترانـــي كان الروح منى فى مُـــحال

1-2- تيار المجاهدة العملية:

آثر أتباعه اقتفاء أثر السلف الصالح وقالوا بمبدأ المجاهدة العملية رافضين بذلك مبدأ المجاهدة النفسية، وعملوا على المرابطة بالثغور والربط دفاعا عن المسلمين ولأجل الاستشهاد، كالإمام الزاهد الفقيه أبو علي الصدفي الذي لم يتردد في المشاركة بمعركة كتندة لاغتنام الشهادة، واندرج ضمن هذا التيار أيضا أبو محمد عبد الواحد ابن تومرت الهسكوري الأسود الذي حارب إلى جانب الموحدين بالأندلس في معركة الأرك (591هـ/ 1195م) واستشهد فيها، وأبو الصبر أيوب بن عبد الله (ت609هـ/1212م) الذي اشتهر بالزهد

والتصوف وكان له أتباع أخذوا عنه، وهو من المتصوفة المجاهدين إذ استشهد بمعركة حصن العقاب (ت609 هـ/ 1212م)، وانكب أصحاب هذا التيار على الدفاع عن الإسلام ونشر مبادئه، كوجاج بن زلو اللمطي الذي بنى دار للطلبة وعمل على نشر أفكاره ومبادئ الإسلام.

1-3- تيار الوعظ والتذكير:

عمد أصحابه إلى إتباع أسلوب الوعظ والتذكير لدعوة الناس إلى حب الله والحث على العمل للآخرة، واجتهدوا في محاربة البدع وتشددوا في ذلك وتميزوا بثقافة متنوعة، والتزموا بإتباع السنة، وعمل بعض المتصوفة على اتخاذ الربط مكانا للوعظ كأبي محمد تيلجي الذي كان واعظا برباط شاكر.

1-4- تيار الترهيب والترغيب:

اتّبع أصحابه أسلوب المجاهدات والرياضات النفسية كالقيام والصيام مع زهدهم وتقللهم من الدنيا وانقطاعهم عن الناس وعزلتهم في كثير من الأحيان، واعتمد رواده على أسلوب التخويف والتشدد كأساس لردع النفس البشرية الأمارة بالسوء والتي لا تنفعل إلا بالخوف والترهيب، وظهور هذا التيار بالغرب الإسلامي يرجع للأوضاع التي تخبط فيها المجتمع آنذاك وانتشار المنكرات به والتفسخ الأخلاقي، فكان بمثابة تيار معاكس لتلك الأوضاع وجاء ليقضي عليها. واعتمد رواده على أسلوب التخويف والتشدد كأساس لردع النفس البشرية الأمارة بالسوء والتي لا تنفعل إلا بالخوف والترهيب.

1-5- تيار الخلوة والانقطاع:

عمد أصحابه إلى اعتزال الناس والانقطاع عنهم إمّا في منازلهم أوفي زوايا المساجد أو في الجبال والكهوف والمغارات وحتى في المقابر، وكان أبو محمد عبد السلام ابن أبي عبد الله آمغار من المتصوفة الذين اعتكفوا مبتعدين عن الدنيا، وابنه أبو يعقوب يوسف (ت614هـ /1217م) أيضا من المتصوفة واشتهر بعلو شأنه بين الناس، وتميزت أسرة آل آمغار بأنها أسرة الخير والصلاح، وحرصوا على اتباع السنة في تصوفهم.

1-6- تيار التصوف التلقائي:

مثلته جماعة من الذين اتبعوا طريق التصوف دون سابق دراية بمبادئه ونظرياته ولم يكن لهم اطلاع عليه، وكان تصوفهم ناتجا عن ظرف ما أو حادثة غيّرت سلوكهم ودفعتهم إلى ولوج الزهد والتقشف، فكان تصوفهم تلقائيا بيد أن أتباع هذا التيار شكّلوا نسبة قليلة إذا ما قورنت بغيرهم ممن درسوا عن التصوف ونهلوا عن مشايخه. ويندرج ضمن هذا التيار مروان بن عبد الملك اللمتوني العابد(ت572هـ/1176م) الذي عمل على حفر كهف انعزل فيه للتعبد وسمى باسمه" درب العابد"، فضلا عن أبي علي بن العباس المعروف بالحبّاك (ت613هـ/ 1216م) الذي تاب في جنازة أبي مدين شعيب حين رأى التفاف الناس حول المتصوفة الأمر الذي دفع به إلى ترك حياة الغنى والترف التي كان فيها، وأقدم على إعطاء ملابسه لفقير ولبس مرقعته، واجتمع حوله المريدون فيما بعد، ناهيك عن العديد من المتصوفة ممن تابوا بعدما كانوا سُرّاقًا أو من أصحاب الدعارة وقطاع الطرق، فضلا عمن كان مغنيا في الأعراس مسرفا على نفسه أو ممن يشربون الخمر.

2 – التيار الصوفي السني الفلسفي:

اتبع أصحابه المجاهدة النفسية والخلوة والذكر للوصول إلى كشف حجاب الحس للإطلاع على الحقائق الإلاهية، وإدراك العلوم اللدنية، وحافظوا في كل ذلك على أن يكون سلوكهم موافقا للشريعة وقد شمل مجموعة من المتصوفة نجملهم فيما يلي:

2-1- الغزاليون:

تأثر أصحاب هذا التيار بمبادئ الغزالي(ت505هـ/1111م) التي كانت لهم بمثابة القاعدة، فداوموا على قراءة مؤلفاته ونشروا أفكاره وآرائه، التي قامت أساسا على التزام الشرع، واعتمدوا في ذلك كله على القيام بأنواع المجاهدات والرياضات النفسية التي تضمن لهم تنقية النفس كالصيام والذكر والخلوة والقيام، ليخلصوا في الأخير إلى الكشف حيث يطّلعون على الحقائق الالاهية والعلوم اللدنية. وتمكن أتباع الغزالي من الاطلاع على أفكاره الصوفية من

خلال مؤلفاته وفي مقدمتها كتابه "الإحياء" الذي نُقل إلى الغرب الإسلامي مع العلماء أثناء تأديتهم لمناسك الحج أو من خلال الرحلات العلمية والإجازات كما سبق ذكره، وسمح لهم ذلك بالالتقاء بأتباع الغزالي فأخذوا عنهم أفكاره ومؤلفاته، وبرز في هذا الاتجاه أبو الفضل ابن يوسف بن النحوي(ت513هـ/1119م) الذي شبّه بالغزالي في علمه، وحرص على إتباع الشرع، والفقه المالكي الذي أشاد بإمامه مالك، وتأثره بالغزالي بدا واضحا جليا من خلال اعتنائه الكبير بكتابه الأحيّاء حتى أنه دافع عنه بشدة عندما أفتى الأمير المرابطي بإحراقه، فأكد بطلان تلك الأيمان التي حُلِّفت بها العامة وكتب بنصرته للإحياء إلى الأمير علي بن يوسف، وقام بنسخه في ثلاثين جزءا وعمل في شهر رمضان على قراءة جزء منه كل يوم وقال: "وددت أني لم انظر في عمري سواه"، وقد غلبت عليه حالة الحضور مع الله فكان يصلي ولا يأبه بكثرة اللغط والأصوات بداره، حتى أنه لم يحس بالسراج الذي أدناه ابنه من عينيه لقوة حضوره مع الله أثناء صلاته. كما أن حسين بن علي بن محمد المسيلي (ت أواخر القرن 6هـ/12م) تأثّر بالغزالي حتى سمي بأبي حامد الصغير ذلك لأنه ألّف "كتاب التذكير" وسار فيه على نهج الغزالي في الإحياء، إلاّ أنه أبدع فيه أيّما إبداع وتداوله الناس فيما بينهم، مما دل على استحسانهم لأفكاره وأسلوبه، هذا فضلا عن تلقين اتجاهه لطلبته أثناء تدريسهم إذ اشتغل مدرسا ومال الناس إليه كثيرا.

2-2- المدينيون:

تأثّر أتباع هذا التيار بأفكار أبي مدين شعيب الذي قام تصوفه على عدة أسس، فرأى أن الزهد الحقيقي هو الذي يطهر قلب المريد من شهوات الدنيا ويغمره بحبه لله ويتم ذلك بالمداومة على ذكره تعالى عزّ وجّل وقال في هذا السياق:

إنِّي إذَا مَا ذَكـــــرْتُ ربِّ يَهْتَزُّ شَوقِي إلى لِقَـــــــاهُ
طابَتْ حَيَاتِي وَضَاءَ قَلْبِي بِذِكْرِ رَبِي خِلَّ ثَنَـــــــاهُ

وحارب الزهد في المظهر الخارجي، كما رأى ضرورة محاسبة المريد لنفسه بالقيام بالريّاضات فقال: "من لم يجد في قلبه زاجرًا فهو خراب" حتى يفرغ بذلك قلبه من أمور الدنيا

وعمّا سوى الله، ويتمكن المريد من الوصول إلى مرحلة الكشف بعد تطهيره لقلبه فقال في ذلك: "لا يسمو إلاّ من أوتي قلبا سليما الذي يسلم مما سواه، ولا يكون في الوعاء إلاّ ممّا جعل فيه مولاه فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك" وتكشف له حينها الحقيقة الإلاهية فيكتسب العلوم اللدنية.

2-3- الماجريون:

هم أتباع **أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري**(550هـ-631هـ/1155-1233م) صاحب الرياضات والمجاهدات الكثيرة زهد في كل شيء وأكثر من الصلاة والصيام، أنشأ رباطا بأسفي حيث اجتمع إليه المريدون ولقّنهم ما أخذه عن أبي مدين من تعاليم فضلا عن أفكار الغزالي الصوفية، وكان اتجاهه الصوفي الذي اعتمده في تربية المريدين يقوم على عدة خطوات، فاشترط أن يصرّح المريد منذ البداية بعيوبه ثم يُلزم نفسه العزلة عن الناس ويعمل على أداء أوراده، وبقي هذا الأسلوب متداولا بين أتباعه حتى بعد وفاته وتخرج على يده عدد كبير من المريدين ممن اتبعوا طريقته في التصوف وعملوا على نشرها.

2-4- الشاذليون:

نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي الذي أقرّ في مذهبه بقدرة العقل البشري على إدراك الحقائق الالاهية ومعانيها، وشكّل ذكر الله إحدى الأسس التي قام عليها تصوف الشاذلية، من أجل الوصول إلى المحبوب وهو الله والاتصال به، وتمثلت تعاليم الشاذلية في خمسة أسس هي:" تقوى الله في السر والعلانية وإتباع السنة في الأقوال والأفعال والإعراض عن الخلق في السر والعلانية...، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله تعالى في السراء والضّراء".

3- التيار الإحساني:

رأى أصحاب هذا التيار أن أساس تواصل الحياة واستمرارها مرتبط بالصدقة والإحسان وايثار الغير عن النفس، فمن خلال ذلك تزول الفوارق الطبقية ويتساوى البشر في الدنيا الغني والفقير على حد السواء.

4- التيار الصوفي الباطني:

عمل أصحابه على المداومة على الرياضات ليخلصوا في الأخير إلى معرفة الله وهذا ما عرف عندهم بالوصول الذي اعتبروه المثل الأعلى للمعرفة الالاهية، والتيار الصوفي الباطني الذي عرفه الغرب الإسلامي تمثل في تيارين هما:

4-1- التيار الباطني المعتدل:

تأثر أصحابه بأفكار الغزالي واعتمدوا على المجاهدات والرياضات النفسية للوصول إلى الله فضلا عن ميلهم إلى العلوم الباطنية، واتخذوا من الزهد شعارًا حتى في كراماتهم والعطايا الالاهية ، فزهدوا بذلك في كل شيء ما عدا الله، وحافظوا في كل ذلك على إتباعهم المذهب المالكي وارتكازهم عليه، وتميز هذا الاتجاه برفضه لسياسة السلطة القائمة ومعارضتها لكن بطريقة سلمية مبتعدا عن استخدام العنف والثورة، وكانت بوادر هذا الاتجاه مع عصر المرابطين إذ بدأ التصوف ينحو من مجرد تصوف ساذج إلى تصوف فلسفي تأثر بالفلسفة اليونانية، وذلك بعد أن ترجمت في المشرق ونهل منها المتصوفة المشارقة، ثم انتقل تأثيرها إلى الأندلس، إلى جانب التأثر بمؤلفات الفارابي وابن سينا وإخوان الصفا مما سهل الطريق على المتصوفة الذين نحوا المنحى الباطني.

4-2- التيار الباطني المتطرف الثائر:

عمد أصحابه إلى تبني الثورة ضد السلطة القائمة بالغرب الإسلامي إبّان عصري المرابطين والموحدين، وقد عملوا على البحث عن مصدر يساعدهم على بناء نظريتهم في السلطة وهذا ما جعلهم يتجهون نحو التشيع، فراحوا يوظفون بعض أسس الفكر الشيعي الباطني في صراعهم السياسي ضد السلطة، ومن الأفكار الشيعية التي جسّدها أتباع هذا التيار مسألة

الولاية اذ تسمى ابن قسي بالإمام، وادعى ابن هود الماسي المهدوية إذ "ادّعى الهداية وسمى نفسه بالهادي". ووظّفوا أيضا فكرةً علم الإمام "الشيعية التي اعتمدها الشيعة في التشريع إلى جانب الكتاب والسنة فألغوا بذلك الإجماع والقياس اللذين اعتمدهما أهل السنة، وهذا العلم الذي اعتمده الشيعة اعتبروا أن أئمتهم قد أخذوه عن جدهم الرسول صلى الله عليه وسلم، واستعان به متصوفة الغرب الإسلامي ووظفوه في صراعهم ضد المرابطين والموحدين، فابن قسي كان يدّعى أن الله كلّمه في المنام وقال له:

أردُدْ على قوس العُلى أَوْتَـــــارَهْ وَارْم العدا بِسهامها العـــــــقّارهْ
وانفُض يَدَيكَ بشِلْبَ مِفتاح البلاد المنجيات وأُمَّها المخـــــــــتارَهْ
ويكون ذاك إذا تكاثرت العـــــدا وتملأّت قُنَنُ الجِبال نصـــــــارَه

وهو في ذلك يشير إلى أن الله أمره بالاستلاء على مدينة شلب والثورة على المرابطين، وقد غضب عندما أعاب عليه البعض قوله" نصاره "بدل "نصارى"، وعمد إلى تأكيد ما قاله على أساس أن الله أنشده إياه فلم يتصرف هو فيه، وسارا بن هود الماسي على نحوه في ثورته على الموحدين إذ زعم أن البُشرى كانت تأتيه من المولى عزّوجلّ وأنه يَؤيده، كما قالوا بالحفظ الذي قابلته العصمة عند الشيعة غير أن استخدامهم له لم تفصح عنه المصادر، ولذا نجد ابن قسي قد انفرد بتوظيفه لهذه الفكرة من خلال موقفه إزاء البدوي الذي شكّك في قدرته على إخراج المال من الفراغ والذي قال لأصحابه: "عجبًا لهذا المال الذي يصل الإمام من السماء كيف عليه طابع المرابطين؟ ولم يكن عليه طابع غير ذلك"، واختفى البدوي منذ ذلك الحين مما يشير إلى إمكانية قتله من قبل ابن قسي، وبالنسبة للكرامة هي الأخرى شكّلت فكرة أساسية من أفكار الشيعة الإسماعيلية وكذا عند المتصوفة.

وقد اعتمد المتصوفة على الأخذ عن الشيخ وكان من الواجب "على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدًا"، وهم بذلك يلتقون مع الشيعة في الأخذ عن الأشخاص بدل الكتب، وارتبط هذا مع مبدأ الإمامة عند الشيعة الذين كانوا يأخذون عن إمامهم المعصوم، ويصطلح على كل هذا بالصحبة، وابن قسي كانت تربطه بأصحابه صحبة وصداقة والتي قد تعني صحبة المريد لشيخه أو" صحبة التنظيم السياسي السري".

5- التيارات الصوفية الفلسفية:

عمد متصوفتها على القيام بالمجاهدات والرياضات والعمل على كشف حجاب الحس والإطّلاع على حقائق الوجود مما لا يدركه سواهم وتحصُل لهم حينها المواهب الربّانية، فتُكشف لهم حقائق الملك والروح والعرش واختلفوا في أساليب قيامهم بالمجاهدات وكيفية تقوية نفوسهم بالذكر، ونجمل هذه التيارات فيما يلي:

5-1- التيار الإشراقي:

يرى أصحابه أن المريد يتمكن من الوصول إلى معرفة حقيقة الوجود من خلال النور الذي يُقذف في قلبه من قبل المولى عزّ وجلّ، ويتم له ذلك كله بعد مجاهدة النفس وتطهيرها، واعتبروا أن الملأ الأعلى من نور يتمكن المريد من الوصول إليه بعد تطهير نفسه، ومما ساعد على انتشار هذا التيار بالغرب الإسلامي تلك المؤلفات التي ساهمت في تسهيل الطريق على المريد ككتاب" الإشارات والتنبيهات" لابن سينا ومؤلفات شهاب الدين يحي بن حبش السهروردي.

5-2- تيار الوحدة المطلقة:

قام هذا التيار على أساس أن المولى هو سر كل الوجود، وأن العقل البشري يتوهم كل ما يحيط به إذ تتقاسم الإنسان قوتان قوة الحق وقوة الباطل وهذه الأخيرة هي سبب حصول تلك الأوهام للعقل، وبقيام الإنسان بالمجاهدات والرياضات يستطيع التغلب على هذه القوة فيحصل له حلول الحق في ذاته، ويتوصل في الأخير إلى حالة الكشف فتتكشف له أسرار الكون وتتجلى له كل معانيه وتمثل هذا التيار في:

5-2-1- الدراويش:

عمل أصحاب هذا التيار على التظاهر بالبله والجنون لإخفاء أفكارهم في الوحدة المطلقة خوفا من بطش السلطة. عرف أتباعه بالشوذية نسبة إلى ابي عبد الله الشوذي الذي نزل إلى تلمسان في زي المجانين، ويبيع الحلوى للأطفال الذين ينقرون له فيشطح ويدور مرددًا

أشعاراً له في المحبة ولذا عرف بالحلوي، ثم كان ينصرف بعدها بركوبه قصبة على هيئة الفرسان متسترا على مذهبه الصوفي، غير أنه هناك من المتصوفة من سبقه واعتمد على التستر بالبله كأبي محمد عبد الحق أمسطوط أي المجنون وسمي كذلك لركوبه قصبة وجريه بها، وأبي عبد الله العربي(ت611هـ/1214م) هو الآخر تستر بالبله لإخفاء مذهبه الصوفي، إذ كان على سيرة الحلوي يركب قصبة ويسيح بها في الأرض، وقد نادى أتباع أبي عبد الله الشوذي بالزهد في كل شيء وكانوا يميلون أكثر إلى الخمول ولم يتأخروا في كشف كراماتهم. هذا فضلا عن طرحهم هذا فضلا عن طرحهم لأفكارهم بأسلوب بسيط يسهل على المريد فهمه كما سبق ذكره.

والجدير بالذكر هنا هو أن أتباع الشوذي تحولوا فيما بعد إلى الجانب السياسي، حتى أنهم أنكروا صحة العلوم الشرعية.

5-2-2- السبعينية:

نسبة إلى **عبد الحق ابن ابراهيم ابن سبعين**(ت669هـ/1270م)، والمحور الأساسي الذي قام عليه مذهب السبعينية في الوحدة المطلقة يكمن في أن **وجود المولى عزّ وجل هو الوجود الواحد** الذي يتمثل فيه **وباقي المخلوقات الموجودة وجودها عين وجوده عزّ وجل، أي أن الوجود واحد في حقيقته ثابت** وهذا ما عبّر عنه ابن سبعين" بالإحاطة". ورأى أن وجود الله هو أصل الوجود كله، وهو ما كان وما كائن وما سيكون أي وجوده مطلق ووجود باقي المخلوقات المشاهدة روحي، وهو بذلك يجعل مذهبه قائما على أساس أن الوجود المطلق هو لله وباقي الموجودات هي روحية لا مادية ملموسة، وذهب إلى أبعد من ذلك بجعله يشبّه الوجود بالدائرة يمثل الوجود المطلق الذي هو الله بالمحيط أما وجود باقي الموجودات فهو مقيد داخل الدائرة، ولا يوجد فرق بينهما في نظره لأن محيط الدائرة هو نفسه مساحتها، أو بمعنى آخر هناك وحدة مطلقة بينهما وانتهي في الأخير إلى أن الوجود واحد وهو الله، غير أنه لم يكتف بوضع مذهبه في الوحدة المطلقة هكذا دون دليل بل استند إلى نصوص من القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾، وقد رأى نفسه راقيًا عن كل من الفلسفة

والتصوف، وما يدل على ذلك هو استخدامه لمصطلح "المحقق" أو "المقرب" والذي يمثل أكمل أفراد البشر ورأى فيه أنه أشمل من الفقيه والفيلسوف والصوفي.

5-3- تيار وحدة الوجود:

يقول أصحابه بأن الوجود واحد ويتمثل في الله وأنه صادر عن صفة الوحدانية، وقد جمعوا بين الفلسفة والتصوف معًا، **والمحور الأساسي الذي قام عليه هذا التيار هو وحدة الوجود على أساس أن الوجود واحد في جوهره لكنه أكثر من ذلك في الظاهر وهذا ما تدركه حواس البشر وعقولهم**، وحتى يتمكن المريد من الوصول إلى الحقيقة عليه أن يقوم بالرياضات والمجاهدات التي تعمل على تطهير نفسه، ويستطيع حينها أن يحلّ فيه الله ويسيّر كل حواسه، وبالتالي يمتلك قدرة جديدة يدرك من خلالها حقائق تفوق قدرة العقل البشري العادي، وذهب أتباع هذا التيار إلى أبعد من ذلك إلى القول بوحدة الأديان وهذا ما يفهم من شعر ابن عربي الذي قال فيه:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذ لم يكن ديني إلى دينه وانـــي
لقد صار قلبي قابلا كل صـــورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبـــان
وبيت لأوثان وكعبة طائـــف ... وألواح توارة ومصحف قـــرآن
أدين بدين الحب أين توجهـــت ... ركائبه فالحب ديني وإيمانـــي

وكانت لهم شطحات فقد استخدم ابن عربي الرموز والإشارات والخيال لشرح مذهبه، ورأى أن اللغة الرمزية هي السبيل الوحيد لذلك وهذا ما أشار إليه في قوله:

ألا أن الرموز دليل صـــدق ... على المغني المغيب في الفؤاد
وأن العالمين له رمـــوز ... وألغاز ليدعى بالعـــباد
ولولا اللغز كان القول كـــفرًا ... وأدّى العالمين إلى العـــناد
فهم بالرمز قد حسبوا فقـــالوا ... بإهراق الدماء وبالفـــساد
فكيف بنا لو أن الأمر يـــبدو ... بلا ستر يكون له استنـــادي
لقام بنا الشقاء هنا يقيـــنا ... وعند البعث في يوم التـــنادي
ولكن الغفور أقام ستـــرا ... ليسعدنا على رغم الأعـــادي

محاضرة 7: مكانة المتصوفة في المجتمع

1- مكانة المتصوفة عند السلطة:

تأرجحت علاقة السلطة بالمتصوفة ما بين علاقة توتر واحتواء وتقرب بحسب الظروف والانتماءات المذهبية والفكرية للمتصوفة، فالسلطة الأموية حاربت أتباع ابن مسرة اذ اتخذ الخليفة الاموي الناصر موقفا متشددا ازاء الفكر المسري، وتواصل هذا العداء في عهد الحكم ثم الحاجب المنصور بن ابي عامر، وكانت علاقة السلطة المرابطية بالمتصوفة متذبذبة إذ تضايقت من التيار الصوفي المعتدل الذي استخدم كراماته للتعبير عن موقفه مما يجري في المجتمع، فحدّت من نشاط أقطابه وضربت أتباع الغزالي بحرقها لكتابه "**احياء علوم الدين**" سنة 503هـ/1109م بأمر من الأمير علي وذلك بإيعاز من قاضي قرطبة أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين، ونفذت كتب الأمير إلى كافة أنحاء البلاد يأمرهم فيها بضرورة عدم تصفح ما جاء فيه وتوعد كل من خالف أمره، وقد اختلفت آراء المؤرخين في تعليلهم لسبب معاداة المرابطين للإحياء، فهناك من رأى في عملية حرقه امتدادا لمحاربة الفقهاء والمرابطين لعلم الكلام الذي كان محظورا عندهم، في حين أرجع بعضهم سبب الحرق إلى موقف الغزالي في كتابه المعادي للفقهاء وقد تضمن "الإحياء" بعض الأخطاء التي أثارت هؤلاء الفقهاء، ففيما يخص الأحاديث التي وردت منها ما كان موضوعا، إلى جانب كثرة الألفاظ الفارسية التي استبشعها بعضهم، ولم تكن تلك الأخطاء إلا القطرة التي أفاضت الكأس، فكتاب "الاحياء" كان موجها إلى كافة الناس ليراجع كل واحد منهم سلوكه وتفكيره، وهذا ما أثار الفقهاء ذلك لأنهم رأوا ضرورة أن يراعي الغزالي قبل كل شيء الاختلاف بين تفكير العامي وتفكير الخاص من العلماء والفقهاء في إثارته لقضايا عادية، فما بالك إذا ناقش قضايا يرفض هؤلاء العلماء والفقهاء إثارتها ومناقشتها، لذلك من الواجب أن نأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار في إثارتنا لمسألة إحراق "الإحياء"، اذ ناقش الغزالي في مؤلفه بعض المسائل المتعلقة بالعلماء والسلاطين فعارض فكرة مخالطة العلماء للسلاطين ورأى في اعتزالهم أمرا واجبا، لأن مخالطتهم تجر

صاحبها إلى مشاركتهم في أفعالهم وظلمهم ويتعرض بذلك إلى معصية الله وأجاز الدخول عليهم في حالتين:

1-1- في حالة طلب السلطان دخول العَالم عليه وخوف هذا الأخير على نفسه عند عدم تلبية طلبه

1-2- إذا كان دخوله على السلطان له علاقة بمصلحة غيره كدفعه للظلم أو مطالبته بحق.

أما إذا دخل السلطان بنفسه على العالم فعليه في هذه الحالة أن يستغل الفرصة في إرشاده أو إخافته من نتائج المعاصي التي يرتكبها، فناقش في باب أمر الأمراء والسلاطين ونهيهم عن المنكر كيفية دعوتهم وإرشادهم من خلال تعريفهم بأخطائهم ووعظهم، وحذّر من استخدام القوة معهم لأن ذلك سيؤدي حتما إلى اشتعال نار الفتنة.

من هذا المنطلق كان الإفتاء بوجوب إحراق كتابه" الاحياء" واتّخاذ الأمير علي لهذا القرار كان ناتجا عن دوافع تمثلت في كونه قد مرّ على تقلده للحكم ثلاث سنوات فقط، لذا فمركزه كان لا يزال هشا، ناهيك عن حركات العصيان التي واجهها فابن أخيه ثار بفاس وصهره ثار بغرناطة، وبقرطبة ثار أحد عمومته من كبار رجال الدولة وهو أبو عبد الله بن الحاج الذي شكّل خطرا على أمن الدولة وزعزعة كيانها بالاندلس، ويرجع الفضل في القضاء عليه إلى الفقيه بن حمد ين وبذلك وجد الأمير علي نفسه مجبرا على رد الجميل من جهة وضرورة ضمان سند يقف إلى جانبه في مواجهة باقي من ثار من جهة أخرى، فما كان عليه إلاّ أن رضخ وتقبّل إفتاء هذا الفقيه حول حرق "الاحياء".

كما راقبت مجالس المتصوفة كإخراجها أبي الفضل بن النحوي من مسجد سجلماسة بحجة تدريسه علوم محظورة، وتعرض أبو لقمان بن يعقوب الأسود للضرب من قبل أحد العمال، وتخوفت السلطة من أبي يعزي الذي كثر المريدون عليه واجتمعوا حوله فأُرغم على الخروج من حومة البليدة بفاس بحجة أن أهل البدع كانوا يجتمعون إليه، وراقبت مراسلات وخطابات المتصوفة التي كانوا يتبادلونها فيما بينهم بل وحالت دون وصولها لأصحابها في

كثير من الأحيان، كما اشخصت بعض المتصوفة الى مراكش لاختبارهم أمثال: ابن العريف الذي سجنته ثم اطلقت سراحه كما اشخصت ابن برجان ومحمد بن الحسين الميورقي.

وسجن أيضا محمد بن أحمد نمارة الحجري وأبو عبد الله محمد بن خلف اللخمي، الذي اتّبع المذهب الظاهري، ويمكن أن يرجع عداء السلطة المرابطية له لاختلافه المذهبي عنها، غير أن النكبات التي تعرض لها المتصوفة لعبت فيها الخلفيات السياسية دورا هاما، وتدخل تلك النكبات في إطار دفاع السلطة عن وجودها ومكانتها، وقد سجن أبو الحسن علي بن حرزهم (ت 559 هـ/1163 م) بفاس، كما سجن أيضا عبد الله الأصم وأبي عبد الله الدقاق بأمر من الأمير تاشفين بن علي، وكاد أن يقتل أبي عبد الله الدقاق رفقة جماعة من أهل سجلماسة لو لم يشفع لهم أحد أشياخ فاس.

غير أن هذه السياسة لم تجد نفعا مع المتصوفة فاضطرت السلطة حينها الى احتواء الوضع وانتهجت سياسة التقرب، وبدت مظاهرها جلية مع سعي بعض الأمراء الى التبرك بالمتصوفة والتماس الدعاء منهم وأغدقت بعضهم بالأموال فاستُقبل غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي بحفاوة كبيرة من قبل رجال السلطة بما فيهم الفقهاء عند نزوله إلى غرناطة، بعد عودته من رحلته بالمشرق للتبرك به والتمـاس دعاءه لهم، واستدعى أحد أمراء صنهاجة ابن حرزهم للأخذ عنه ولازمه وأمره ابن حرزهم بالورع والتقشف فلم يكن هذا الأمير يأكل إلا خبز الشعير، وزار الأمير المرابطي علي المتصوف أبا الأمان غير أن هذا الأخير أبى أن تتم زيارته بداره فاجتمع به خارجها، وأبو محمد عبد الله المليجي(ت540 هـ/1145م) هو الآخر زاره السلطان وبعث له ألف دينار إلاّ أنه ردّها، في حين قبلها منه عبد الجليل ابن ويحلان وقام بتوزيعها على الفقراء والمساكين، والأمير تاشفين بن علي بدوره عمد إلى زيارة أبي زكريا يحي بن محمد الجراوي أثناء توجهه بجيوشه إلى وهران للتبرك به والتماس الدعاء له، ورغم نصيحة أبي زكريا له بعدم المجازفة إذ تنبأ بزوال ملكه وهلاكه، إلاّ أنه واصل سيره إلى وهران فكانت نهايته هناك بالفعل، وبلغت سياسة الود ذروتها مع أسرة آل آمغار بآزمور إذ أحاطتهم السلطة بالاحترام والتوقيرإذ مثّلوا الموقف المهادن للسلطة التي أحاطت شيوخهم بالاحترام والتوقير،

وحسبنا في ذلك الظهير الذي بعث به الأمير علي إلى أبي محمد عبد الله بن أبي علي الومغاري والذي كان مؤرخا في سنة 527 هـ/1132 م ملتمسا منهم الدعاء، وبات عبد الله أمغار يُستشار من قبل الأمير علي في أمور الدولة وما استشارته في بناء سور مراكش إلا دليل على ذلك، حتى أنه ساهم بأمواله في عملية بنائه، كما كان من بين المساندين للمرابطين في حربهم ضد الموحدين فاحتل بهذا مكانة مرموقة لدى المرابطين، وراح الأمير علي بن يوسف يبجله ويفتخر به، واعتبره شيخ مشائخ الغرب الإسلامي ككل، وذلك رغم معارضة آل أمغار عملية إحراق "الاحياء". وقد سعى الأمير علي لكسب أكبر عدد ممكن من المتصوفة، وحسبنا في ذلك إصداره لأمر اجتماع صلحاء الغرب الإسلامي عنده.

وما يلفت الانتباه السياسة المزدوجة التي ميّزت الأمير علي، فقد رأينا مسبقا كيف تعامل مع بعض المتصوفة بإجبارهم على المناظرة واشخاصهم من كل مكان إلى مراكش، ناهيك عن الزج بهم في السجن، إلاّ أنه في نفس الوقت استطاع أن يغيّر سياسته إلى الود قصد احتوائهم وكسبهم لجانبه وربما هذه السياسة وليدة لظروف أجبرته على ذلك.

وفي العصر الموحدي سعى بعض الخلفاء الى التقرب من المتصوفة والتماس الدعاء منهم مثلما جرى مع الخليفة أبي يعقوب يوسف الذي كثر في عهده عدد المتصوفة فكان" يصل من يقبل صلته منهم بالصلات الجزيلة"، ويزورهم للتبرك بهم ويحضر جنائزهم، ويعقوب المنصور (ت595 هـ/1198م) كان يبعث للمتصوفة لزياته بمراكش، ومن مظاهر تقرب السلطة الموحدية منهم أنها أقطعت أراضي للمتصوفة فأقطع الخليفة عبد المؤمن أرض زراعية لأبي النجم هلال بن يونس الغبريني، كما وظّف الموحدون كرامات المتصوفة لصالحهم مثلما جرى مع الخليفة عبد المؤمن بن علي الذي استعان بكرامات المتصوف أبي يعزى لترهيب العرب الهلالية الذين رافقوه أثناء عودته من افريقية إلى المغرب الأقصى حتى يُحكِم سيطرته عليهم أكثر، وخصصت لهم مبالغ مالية ضمن الشرائح الاجتماعية التي لا عمل لها، مثلما جرى لأبي العباس السبتي الذي خصص له يعقوب المنصور راتب وحبس عليه دارا بمراكش وزاوية، كما استوهب الخليفة الموحدي المرتضى الدعاء من الصلحاء وزار قبر المتصوف أبي

شعيب السارية فور وصوله الى مدينة آزمور بغية الدعاء والتبرك به، واستدعى أبو جعفر الجيار المالقي إلى قرطبة من قبل واليها أبي العلاء إدريس بن المنصور الموحدي الملقب بالمأمون للتبرك به، إذ كان يعظّمه ويرفع من مكانته.

أما التيار الغزالي فقد عرف رواجا بانتصار الموحدين له، اذ عزّز الخليفة عبد المؤمن مناصرة الموحدين "للإحياء" من خلال تأثره بأفكار مؤلفه خاصة فيما يتعلق بالتعليم، إذ أضاف الرياضة لباقي المواد التي كان يدرسها الطلبة، وأصبحوا يمارسون حركات رياضية كتعلم ركوب الخيل ورمي القوس، والسباحة في بحيرة مراكش، إلى جانب التعلم على ركوب القوارب وغيرها من الرياضات وهذا فعلا ما دعا إليه الغزالي.

كما اتخذت السلطة وجها آخر في علاقتها بالمتصوفة من خلال اشخاص بعضهم وسجنهم وتهديدهم بحسب الظروف الداعية لذلك وأفكارهم وكراماتهم التي أثارت مخاوفها، وُشي بأبي يعزى عنده فاستدعاه حتى يختبره ويعرف حقيقة المكاشفات التي اشتهر بها، وأشخصت أبو مدين شعيب إلى مراكش غير أن المنية وافته في الطريق، وابن عربي كانت علاقته بالموحدين متوترة، وفرضت الاقامة الجبرية على بعض المتصوفة إذ أُلزم المتصوف أبو زيد عبد الرحمن الفازازي(ت627 هـ/1229 م) داره سنة 626 هـ/1228 م بعد توتر علاقته مع السلطة بالأندلس، ثم انتقل بعدها إلى مراكش أين توفي هناك.

أما التيار الصوفي المتطرف والثائر فقد انتهج أسلوب الثورة والعمل المسلح ضد السلطتين المرابطية والموحدية وتزعمه ابن قسي بالأندلس وابن هود الماسي وعتاب بالمغرب الأقصى وتم القضاء عليهم.

وفي **العصر المريني** اتخذت السلطة موقفا ايجابيا اتجاه المتصوفة فسعى سلاطينها إلى اظهار ميولهم واهتمامهم بهذه الشريحة، واشتهر يعقوب بن عبد الحق المريني بشدة حبه للمتصوفة كما قربهم أبو الحسن المريني وعطف عليهم وبلغوا في عهده مبلغا عظيما وقد سكت السلاطين على امتناع المتصوفة عن استقبالهم، وسعى سلاطين **الدولة الحفصية** لنيل بركة المتصوفة فهذا السلطان ابو زكرياء عند دخوله الى تلمسان لم يجرؤ على مس المتصوفة بسوء

فلم يداهم دار أبو عبد الله محمد بن مرزوق، **والسلطة الزيانية** أعطت للتيار الصوفي مكانة خاصة بدافع التبرك بمشايخه وتقديسهم وتصديقا لكراماتهم، فيغمراسن كان محبا لهم ساعيا لنيل بركتهم حريصا على زيارتهم ونال أبو عبد الله بن مرزوق مكانة كبيرة عنده حتى أوصى بدفنه إلى جانبه.

وازداد الاقبال على التيار الصوفي في عهد بني الاحمر بغرناطة اذ شكل الملاذ الوحيد للأندلسيين بعد حركة استرداد المسيحيين للمدن الاندلسية ولم تبق الا مملكة غرناطة، لذا عرف المتصوفة تقديسا منقطع النظير من قبل العامة والخاصة.

2- مكانة المتصوفة لدى العامة:

أحيط المتصوفة بالاحترام والتعظيم وسعت العامة للحصول على بركتهم والدعاء لهم ولأبنائهم، فكانوا يتوافدون على بعضهم بعد صلاة الجمعة يتمسحون بهم ويطلبون الدعاء منهم، وتعززت مكانة هذه الفئة في المجتمع لدى العامة والخاصة وباتت مُعظمة فحُفت جنائزهم وقبورهم بالاحترام وشكّلت إحدى المقامات المُعظمة التي يقصدونها للتبرك، بل كانت القبائل تتنازع حول نيل البركة من قبورهم عند دفنهم وتبركوا بنعشهم واحتفظوا بتراب قبورهم للاستشفاء به، كما فضلوا الدفن بجوارهم لنيل مغفرة الله بقربهم وهذا ما زاد في شعبيتهم وأثار مخاوف السلطة والفقهاء في كثير من الأحيان وكان وراء حقدهما على المتصوفة.

3- علاقة المتصوفة بالفقهاء:

حددت أفكار المتصوفة علاقتهم بالفقهاء غير أنها تميزت بالتوتر على العموم وتخللتها فترات سلم، اذ حمل الفقيه المالكي أبو عمر أحمد ببن خالد الحباب (ت322هـ /934م) حملة عنيفة على ابن مسرة حيث ألف صحيفة اتهمه فيها، الأمر الذي دفع بقية الفقهاء الى رميه بالزندقة فاضطر ابن مسرة للخروج من الأندلس.

وفي العصر المرابطي غلب عليها التوتر وبلغ ذروته مع مهاجمة الفقهاء لكتاب "**الاحياء**" للغزالي وكان ذلك رد فعل على النقد اللاذع الذين تعرضوا له في الاحياء، إذ حمل عليهم حملة نكراء، ورأى أنهم يقصدون بعلمهم الحصول على الدنيا وتباهوا في ذلك فنالوا الثروة

الطائلة، ونعتهم بعلماء الدنيا فقال عنهم:" نعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها"، وقال أيضا:" فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما تيسر به اكتساب المال والجاه"، ونهي في باب ما يحلّ من مخالطة السلاطين عن مخالطة المقربين منهم بما فيهم الفقهاء فقال:" معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد، أما القضاة فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فإنهم على زي العمال ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم"، كما أنه نقد استخدامهم لعلمهم كوسيلة لتسيير غيرهم حسب مصالحهم الخاصة ،وفي هذا قال: "عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ المهمة واغتروا بالظواهر وأخطأوا فيها... ولكن هذا النوع عمّ الكافة إلاّ الأكياس منهم"، وكان من المفروض أن تعمل هذه الفئة على تغيير المجتمع إلى الأفضل بدل أن تعمل على مساندة السلاطين وإصدار فتاوي تتماشى ومصالحهم الشخصية قال فيما يخص هذا:

"إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من إنكارهم"، وهو هنا يحمّلهم مسؤولية ظلم واستبداد الحكام على الرعية لأنهم لا يستخدمون علمهم في النهي عن ذلك، وقد خلص في الأخير إلى تحديد المصير الذي يؤول إليه مثل هؤلاء فقهاء فقال:" العلماء يُحشرون في زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين"، بيد أن الغزالي لم يتوقف عند هذا الحد فقط بل راح ينوّه بمكانة علماء الآخرة، عند الله وهم المتصوفة، فرفع من شأنــهم ورأى أن مآلهم الفــوز فقال: "وأن الفائزين المقربين هم علمــاء الآخرة"، الأمر الذي زاد في معاداة كتابه الذي كشف واقعهم وسلّط عليهم الأضواء –الفقهاء– وقد شكّل هذا الكتاب الركيزة التي بنى عليها الاتجاه الغزالي أفكاره وبات دليلهم في التصوف، فأخذوا في تطبيق ما جاء فيه مما دفع الفقهاء إلى معارضة أتباعه خاصة وأنهم كانوا يشجعون على قراءته والعمل به، كأبي علي الحسن المسيلي الذي تأثر به وسمي بأبي حامد الصغير، وقد عمد ابن العريف إلى نعت الفقهاء بقوله: "علماء

السوء وكبراء أهل الدنيا المفترين بها في جمع الأموال والجاه"، واقبال المتصوفة على قراءته والأخذ بأفكار صاحبه دفع بالفقهاء الى معارضتهم والافتاء بحرقه بإيعاز من القاضي ابن حمدين، وضيقوا الخناق على أتباعه وكانوا وراء العداء الذي أبدته السلطة ازاء أتباع الغزالي، كما كانوا وراء استدعائها بعض المتصوفة مثل: سعي القاضي ابن الأسود لإشخاص ابن العريف وقد سولت له نفسه بتسميمه بعد اطلاق سراحه، وكان لدافع الاختلاف المذهبي دور في عدائهم للمتصوفة كسعيهم لسجن الميورقي الظاهري، وعقدوا مجالس لمناظرة المتصوفة والتي تنتهي بإدانتهم وسجنهم مثلما جرى لابن برجان، وانفرد بعض الفقهاء بمناصرتهم للتيار الصوفي فأدانوا قضية حرق "**الاحياء**" فكان الفقيه أبو الحسن البرجي(ت509هـ/ 1115م) ممن دافع عن الاحياء فأفتى بتأديب محرقة وتضمينه ثمنه وشاطره الرأي أبو بكر بن عمر بن أحمد بن الفصيح (ت507هـ /1113م) ، وأبو القاسم بن ورد (ت540 هـ/1145م) ، وبفاس لما وصل كتاب على الذي يقضي بحرق الاحياء أفتى أبو الفضل بن النحوي بعدم صحة الإيمان التي حلف بها الناس، وكتب إلى الأمير علي يخبره بنصرته للإحياء.

في حين التزمت طائفة أخرى بالحياد ولم تشترك في عملية الحرق بالإفتاء في ذلك، بل اكتفت بإبداء وجهة نظرها اتجاه بعض المسائل التي انتقدت من كتاب الإحياء نذكر منهم ابن الألبيري محمد الأنصاري(ت537 هـ/1143م) الذي ألّف كتاب "النكت والأمالي في الرد على الغزالي "تتبع فيه الأحاديث التي تضمنها "الاحياء"، وأبا بكر بن العربي (ت543هـ-1148م)الذي عمل على اتخاذ موقف معتدل إذ نفذ ما رآه موضع نقد، وساند فيه الأفكار القيمة أما القاضي عيّاض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي(ت544 هـ/1149م) فقد وقف موقفا متزنا فلم يكن يرفض ما جاء فيه إلاّ بعد تمييز، وربطته بابن العريف مكاتبات حسنة، كما أقدم الفقهاء على استقبال المتصوف غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي عند عودته من المشرق إلى غرناطة لالتماس الدعاء منه، هذا فضلا عن الفقيه عتيق بن عيسى بن أحمد الذي كان متعاطف مع المتصوفة، حتى أنه من الفقهاء من زهد في حياته وسلك التصوف كالقاضي أبي بكر بن العربي الذي أخذ عن الغزالي وتتلمذ عليه كما أنه ألّف

في التصوف كتاب "سراج المريدين"، وقد عمد بعض الفقهاء إلى الجمع بين الفقه والتصوف في آن واحد كالفقيه أبي الحسن بن حرزهم الذي سبق الإشارة إلى أنه ممن ناصر "الإحياء "واعتكف على قراءته، وبهذا استطاع الغاء فكرة التناقض بين علمي الظاهر والباطن وإثبات إمكانية تكميلهما لبعضهما.

وفي العصر الموحدي تواصل العداء للتيار الغزالي رغم الانفتاح الفكري الذي ميزه إذ وشي ببعض المتصوفة ممن شكلوا خطرا على مكانة الفقهاء في المجتمع كالمتصوف أبي مدين شعيب الذي وشوا به لدى الخليفة المنصور، وما يستحق الذكر هنا هو أن المنصور طلب من القائم على بجاية الاعتناء بأبي مدين وأن يراعى راحته أثناء حمله إليه، وهذا ما يؤكد على أن الفقهاء وهم من كان وراء ذلك فلو تعلق الأمر بالخليفة ذاته لأغلظ في طلب أبي مدين وأمر بحمله إليه بطريقة أو بأخرى، غير أن حرصه على راحته أثناء السفر يثبت عكس ذلك.

وقد تعرض المتصوفة إبّان العصر الموحدي لمهاجمة الفقهاء نذكر منهم المتصوف أبا محمد الماجري (ت631 هـ/1233م) الذي انتقد الفقهاء مجاهداته الكثيرة لنفسه واعتبروها بدعة، فرأى في منامه أن آمرًا يأمره بعدم الرجوع إليهم إلا فيما يخص مسائل الفقه ونعتهم بعلماء الدنيا، كما أن ابن المرأة (ت610 هـ/1213م)قد أثارت كثرت أتباعه الفقهاء بمرسية فتكلموا فيه، ونظرا للموقف الذي اتخذه معظم الفقهاء من المتصوفة فضل المتصوف ابن عربي تفادى صدامه بهم فرحل إلى مكة، وقد تعرض هو الآخر للنقد حتى أنهم رموه بالكفر والزندقة، وكانت له نظرته الخاصة اتجاه ما يصدر عن الفقهاء من تصرفات ونقدهم نقدا لاذعا، إذ رأى أنهم يعملون جهدهم لتضييق رحمة الله على العامة في حين يتساهلون مع ذوي السلطة قدر مستطاعهم، وذكر أن الفقهاء يتعاملون مع غيرهم حسب أموالهم ومكانتهم في السلطة، وهو بذلك أكد ما قاله الغزالي حين وصفهم بعلماء الدنيا، غير أن ابن عربي ورغم كل ما تعرض له من نقد وتكفير دعا الله أن يأخذ بنواصي هؤلاء إلى ما فيه صلاحهم، وابن سبعين هو الآخر انتقد الفقهاء ما كان يصدر عنه حيث قال ابن الخطيب في هـذا: " لما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء زيّا وانتباذًا ونحلة وصحبة واصطلاحا كثر عليها لتأويل وفليت

موضوعاته"، وما أثار عليه النقد والاتهام استخدامه الشطحات والرموز، والتي أثارت عليه فقهاء مدينة سبتة عندما انتقل إليها، واتهم بالزندقة، وثار الفقهاء على أتباعه وانتقدوا الملابس التي كانوا يرتدونها وطريقة عيشهم، أما تلميذه الششتري (ت668 هـ/1269م) فقد هاجم الفقهاء في أزجاله لما كان يتعرض له من نقد لمذهبه واتهام له بالخروج عن الشرع فوصفهم هو الآخر بأهل الدنيا.

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي - جامعة زيان عاشور الجلفة

محاضر8: إسهامات المتصوفة في الحياة بالغرب الإسلامي

1- الاسهامات السياسية والاقتصادية:

ساهم المتصوفة في هذا المجال بتوظيف كراماتهم إذ حاربوا تعسف جباة الضرائب وتوسطوا للعامة لدى العمال لتخفيف الضرائب التي فرضوها عليها، وشاركوا في مجال الزراعة فشجعوا مريديهم على خدمة الأرض وعملوا بأنفسهم في خدمة أراضيهم لضمان كسب قوتهم بالحلال، وقصدتهم العامة لالتماس دعائهم عند تعرض أراضيهم للآفات الزراعية كالجراد لتفادي وقوع خسائر زراعية تضر بالاقتصاد، وأثبتوا وجودهم في مجال الحرف كنسخ الكتب، وصناعة النسيج وفي الخياطة وخراطة الخشب والتجارة، وفي **الجانب السياسي** أسهموا في تحرير الأسرى وشاركوا في المعارك للضفر بالشهادة وردوا ضربات العدو، ونظرا للمكانة المرموقة التي حظي بها المتصوفة لدى سلاطين الدولة المرينية فقد خولت لهم تقديم النصيحة لهم، كما سمحت لبعضهم بتفقد أمور القضاء والأحباس وحتى استشارتهم في أمور السياسة.

2- الاسهامات الاجتماعية والدينية في المجتمع:

نشط المتصوفة خلال الازمات إذ ساهموا في أوقات الجفاف والقحط بدعواتهم للاستسقاء، كما استخدموا كراماتهم في توفير الماء أوقات الجفاف، ووقفوا إلى جانب الفئات الفقيرة فترات غلاء الأسعار والمجاعات التي عرفها الغرب الاسلامي من خلال إشرافهم على إطعامهم وتوفير المؤونة لهم، وحاولوا الحد من انتشار الفقر في الأوقات العادية بالعمل لتوفير المال والتصدق به على المحتاجين والفقراء، وانفقوا الأموال التي أغدقها عليهم الأمراء والسلاطين آنذاك كأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي(ت520 هـ/1126 م)الذي التصدق بالمال الذي بعثه إليه الأمير المرابطي قبل خروجه من مراكش وتكلفوا بشراء أضحية العيد للفقراء وسددوا ديونهم، كما كان لهم دور في بناء المرافق العامة كالقناطر والأسوار وحسبنا عبد الله أمغار الذي ساهم بماله في بناء صور مراكش.

ساهموا في حل الخلافات الأسرية ووظفوا كراماتهم في منع قيام الفتن والحروب بين القبائل وسعوا لتوفير الأمن في المجتمع، واهتموا برفع المستوى الأخلاقي فيه من خلال محاربة

الآفات التي انتشرت بين أفراده كعادة السرقة وشرب الخمر وغيرهما، وكانوا وراء توبة العديد من أفراد المجتمع.

وفي **الجانب الديني** بنوا المساجد في البوادي لنشر التعليم ومبادئ الاسلام اذ بنى أبو زكريا يحيى الجراوي مسجدا بموضع الحوّاذتين، وأبو تميم عبد الواحد الأسود الذي بنى هو الآخر مسجدا بموضع خارج مدينة مكناسة، وأبو عبد الله ابن الميلي الذي بنى بتلمسان مسجدا، فضلا عن دخول العديد من المسيحيين إلى الاسلام عن طريقهم، إذ أسلم أحدهم على يد أبي يعزى، وهذا أبو محمد عيد الجليل بن ويحلان(ت541 هـ/1146م)قد رمى بالجبة التي تصدق بها عليه أحدهم على نصراني مرّ به فأسلم هذا الأخير بعد أسبوع، وقام أبو يحيى السائح(ت605 هـ/1208م)بتعليم نساء ورجال إحدى جزر الغرب الإسلامي أمور الدين والصلاة، وكانوا لا يفقهون في الإسلام شيئا ،حتى أن ملكهم أُعجب به وطلب بقاءه إلا أن أبا يحيى أبى عن ذلك، أحباس المساجد التي كان يُعتدى عليها وساهموا بالإفتاء والاجابة عن النوازل والمسائل التي أُشكلت على العامة، هذا دون أن ننسى دورهم في مساعدة الفقراء على الحج.

وفي المجال الطبي وظفوا كراماتهم في إشفاء الناس من بعض الأمراض المستعصية وفي هذا المجال برز أبو يعزى إذ أبصرت جارية بمجرد مسحه بيده على عينها ،كما أنه كان يلمس جسد المريض حتى يشفى وفعل ذلك مع صبية مريضة فشفيت بعدها، وأعطى رجلا أعمى قطعة من برنوسه وأمره أن يحرقها ثم يكتحل بها فأبصر.

3- الإسهامات الثقافية والفكرية:

3-1- دورهم في التعليم:

اهتم المتصوفة بمجال التعليم فاقتصروا في تعليمهم **للصبيان** بالكُتّاب وعملية التدريس كانت تتم بالتفاف الصبية حول الشيخ المعلم هذا الأخير الذي عمل على تعليمهم وفق برنامج خاص، فيقوم بتحفيظهم القرآن الكريم على مراحل تنتهي كل واحدة بختم جزء معين من القرآن، إلى جانب تعلميهم عملـية الوضوء والصلاة، وقواعد اللغة العربية، وقد دعا الغزالي إلى تعليم

الصبيان في المكتب القرآن الكريم وأخبار الصالحين حتى ينغرس فيهم حبهم، وبما أن الغزالي كان له أتباع بالغرب الإسلامي فمن المؤكد أنهم التزموا بهذا في تعليمهم للصبيان، وهناك من المتصوفة من اقتصر على داره للتعليم كأبي عبد الله القلانسي، وقد تفانى المتصوفة في عملهم بتعليم الصبية إذ لم يدخروا جهدا في إفادتهم ونفعهم وتأدية واجبهم اتجاههم على أكمل وجه، وحسبنا في ذلك أبو شعيب أيوب سعيد الصنهاجي الذي عُرف بتعليمه في المكتب وهو واقف ويتوكأ على عصاه أثناء وقوفه ولا يجلس ،حتى يتم انصرافهم ليحس أنه لم يضيع الوقت في الجلوس والراحة أثناء أدائه لعمله.

وبالنسبة **للشباب** كانوا يلقون عليهم دروسهم في المساجد في شتى العلوم عدا المحظورة منها في بعض الفترات، فدرس أبو الفضل ابن النحوي أصول الدين وأصول الفقه بمسجد بن عبد الملك بسجلماسة وبفاس وأبو جبل عقد حلقات بمسجد فاس للذكر والفقه، ودرّس الحلوي الشوذي بمسجد بخندق عين الكسور خارج باب القرمدين بتلمسان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأدب، وكان تلميذه ابن المرأة يتكلم عن أهل التصوف ويسرد أخبارهم في مجالسه، أما أبو مدين شعيب فقد درّس بمساجد بجاية واعتمد في تدريسه على" الرسالة القشيرية" و"الاحياء "و"التفكير والتفكر فيما تشمل عليه السور والآيات"، ودرّس عبد الحق الاشبيلي (ت581هـ-1185م) ببجاية الحديث، كما درّس المتصوفة التفسير، ولم تكن المساجد المكان الوحيد الذي يلقي فيه المتصوفة حلقات التدريس، أو الميعاد، إذ شكّلت الرابطات إحدى المراكز التي تم فيها التعليم، كرابطة ابن قسّي درس فيها مؤلفات الغزالي، والزوايا هي الأخرى درّس فيها المتصوفة طلبتهم كزاوية أبي العباس السبتي إذ كان يجتمع الطلبة حوله فيها يدرسهم الحساب والنحو، وخضعت أوقات التدريس لمواقيت الصلوات الخمس اليومية فكانت تلقي الدروس قبل الصلاة أو بعدها، فأقرأ عبد الحق الاشبيلي بعد صلاة الصبح إلى غاية الضحى ثم كان يستأنف التدريس بعد صلاة الظهر حيث يُقرؤ عليه إلى غاية العصر، وأبو العباس ابراهيم النفزي كان هو الآخر يجلس بعد صلاة الصبح فيدّرس التفسير والحديث ودروس في الوعظ إلى غاية الضحى، وفي شهر رمضان كان يخضع برنامج التدريس إلى تغيير بحسب

هذه المناسبة فأبو زكريا يحيى الزواوي كان يخصص ميعادا لتفسير القرآن قبل صلاة الظهر وبعد الفراغ من الصلاة يدرّس الحديث، وطريقة التدريس تمثلت في الإلقاء والشرح، وقد أشرف أبو الحسن علي الحرالي (ت638هـ/1241م) على توجيه طلبته كل حسب رغبته ومستواه الدراسي إلى الوظيفة الملائمة له كالقضاء والتدريس والتصوف...الخ، وفي العصر المريني ازدهرت الحركة التعليمية على يد المتصوفة إذ كان أغلبهم يدرسون بالمدارس المرينية ويخطبون في زواياهم.

وشمل اهتمامهم بالتعليم عامة الناس أيضا إذ عملوا على تدريسهم لمحاربة الجهل والأمية، فعقدوا مجالس الوعظ والتذكير وكانت هذه المجالس مدارس شعبية يحضرها كل الناس دون استثناء فأبو الحسن المفسر(ت577هـ/1181م) كان يفسر للناس القرآن الكريم بمراكش فينتفعون به، وببجاية كان الناس يجتمعون في مجلس أبي مدين شعيب بمسجد أبي زكريا، حتى أنهم في كثير من الأحيان يزدحمون على مجلس الوعظ الذي خصص له وقتا بعد صلاة الصبح، وكان يثري مجلسه بالحديث عن مناقب المتصوفة والزهاد، وأبو علي حسن المسيلي هو الآخر كان يلقي دروسا للعامة في الدين، وضمت هذه المجالس فئة النساء فأبو يحيى بن محيو (ت605 هـ/1208م) كان يعلم الرجال والنساء بإحدى الجزر الإسلام ويعرفهم أمور الشريعة، واتخذ المتصوفة من مجالس الوعظ والتذكير وسيلة عبّروا فيها عن مواقفهم من بعض القضايا.

3-2- دورهم في الجانب الفكري:

ساهم المتصوفة في الحياة العلمية بعلمهم ومؤلفاتهم وكانوا متضلعين في مختلف العلوم والمعارف فأجادوا قراءة القرآن ونبغوا في **علم القراءات** كابن العريف وابن برجان، واهتموا **بالتفسير** هو الآخر خاصة في العصر الموحدي الذي فتح لهم المجال لتفسير آيات القرآن الكريم وممن برز في هذا الميدان أبو العباس النفري، وعلي بن محمد بن علي بن هذيل(ت564 هـ/1168م) البلنسي الذي اشتهر بعلم القراءات وانتهت إليه رياسة الاقراء بشرق الأندلس، وقد تركوا مؤلفات في التفسير كالحرالي الذي ترك كتابا في التفسير "سلك فيه مسلك

البيان والايضاح على نحو ما يقتضيه علم العربية ... "، كما أنه وضع كتابا آخر تضمّن القواعد المتعلقة بالتفسير عنونه بـ" **مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل**" وابن عربي هذا الأخير الذي ألّف "**التفسير الكبير**" بلغ في تفسيره هذا إلى سورة الكهف عند الآية 65 وتوفي قبل أن يكمله، و"**الجمع والتفصيل في أسرار ومعاني التنزيل**" في أربعة وستين مجلدا.

وفي **الحديث** ألّف عبد الحق الإشبيلي "**الجمع بين الصحيحين**"، و"**الجمع بين المصنفات الستة**" وكتاب "**المرشد**" الذي احتوى حديث مسلم وما زاد عنه البخاري والأحاديث الصحاح من كتابي أبي داود والترمذي، ومما ألّف في الحديث أيضا "**المعتدل من الحديث**"، وكتاب "**تلقين الوليد**" ضمّنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين، و**الأحكام الكبرى والأحكام الصغرى** وكتاب كبير في الأحكام وهو أكبر من الأحكام الكبرى، وعرفت هذه المؤلفات رواجا كبيرا بين الناس، حتى أن تلامذته تأثروا به وحسبنا في ذلك تلميذه أبو عبيد الله محمد بن علي **(ت628 هـ/1230م)** الذي ألّف كتاب "**الإعلام بفوائد الأحكام**" فحدّث عن كتاب الأحكام لشيخه عبد الحق الاشبيلي.

وفي **الفقه** ألّف ابن المرأة كتاب في "**إجماع الفقهاء**" انتهى من كتابته سنة **610 هـ/1213م**، وألّف أبو اسحاق النفري كتاب "**الوسائل في الفقه والمسائل**" وألّف ابن البناء "**الفصول في الفرائض**" وبرع ابن النحوي في أصول الفقه وأصول الدين، وأبو علي الحسن المسيلي وضع كتابا في أصول الدين سماه "**التذكرة في أصول الدين**".

وفي **اللغة** ترك عبد الحق الإشبيلي كتاب" **الغريبين في اللغة**" و"**الحاوي**" في ثمانية عشر مجلد، أما أبو الحسن عبيد الله النفزي فقد اهتم بالنحو وألّف فيه كتابا عمد فيه إلى شرح مبادئ النحو، إلى جانب نبوغهم في الشعر غلب عليه طابع الزهد والمدائح النبوية أما شعر التوسلات والابتهالات فقد برز فيه أبي الفضل ابن النحوي في قصيدته الجيمية التي سمّاها المنفرجة، والزجل ويعتبر أبو الحسن الششتري أول من استخدم الزجل ووظّفه في مجال التصوف، والموشح ويعد ابن عربي أول من استخدمه في التعبير عن أغراض التصوف واهتم أبو الحسن الششتري هو الآخر بهذا الفن.

كما اهتموا **بالتاريخ** وألّفوا فيه فألّف أبو محمد حماد الصنهاجي فهرسة ضمّنها سيرة شيوخه من الصوفية ومناقبهم، وأبو عمران الميرتلي ألّف كتاب "**محاسن الأبرار في معاملة الجبّار**" الذي احتوى على أخبار الصالحين الإشبيليين.

وفي **علم المنطق والفلسفة** فقد ألّف أبو الحسن الحرالي كتاب" **المعقولات الأول**" وألّف ابن عربي كتاب "**الحكمة الإلهامية**".

وفي **الجدل** برز أبو العباس السبتي الذي كان "لا يجادله أحد إلا أفحمه ولا يسأله إلاّ أجابه، كأن القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة، يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه، يأتيه المنكرون فما ينصرفون إلا مسلمين منقادين"، كما أن أبي يعزى هو الآخر كان الفقهاء يأتون إليه ليعجّزوه في أمور تتعلق بالدين "فلا يجدون لإفحامه سبيلا بما يلهمه الله إليه من الحجج الباهرة التي لا يجدون لها مردا".

أما **المناظرة** فقد نبغ ابن المرأة والحرالي. وفي العلوم العددية برز الحرالي الذي بلغ شأوا وألّف كتاب "**الوافي في الفرائض**"، وفي **علم الحساب** نجد عبد الحق البجائي (ت513 هـ/1119م) الذي برع أيضا في علم الفرائض، هذا فضلا عن ابن سبعين الذي نبغ في الرياضيات.

وسطع نجم أبو يعزى في **الطب والتنجيم** وفي علم الفلك اشتهر ابن عربي وفي **علم أسرار الحروف** ألّف البوني "**شرف الشكليات وأسرار الحروف العدديات**"، ولا ننسى ابن عربي الذي كان كتابه "**الفتوحات المكية**" موسوعة احتوت كل العلوم.

الخاتمة:

وختاما ما يمكن قوله أن التصوف بالغرب الاسلامي قد عرف منعرجا بنضج بعض النظريات الصوفية الفلسفية على يد أقطاب استطاعوا المضي به قدما، وبرزت على اثر ذلك مدن اشعاع صوفي وعلمي، وكان المتصوفة عنصر فاعل بالمجتمع اذ تأثروا بما عانت منه العامة آنذاك، وحاولوا ايجاد حلول لتلك الأزمات والظروف التي عاشتها.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر المخطوطة:

- الصبّاغ القلعي أبو عبد الله محمد بن محمد:

*بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخبار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار –أبو يعزى سيدي موسى مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1707.

- الهواري أبو القاسم علي:

*مناقب أبي العباس السبتي، مخطوط ، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1713،

2- المصادر المطبوعة:

- ابن الابار:

*تحفة القادم، تعليق احسان عباس، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1986م.

* المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب اللبناني، مجريط، مطبعة – روخس، 1885م.

* التكملة لكتاب الصلة، ج1، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد،1375 هـ/1956م،

- ابن ابراهيم المراكشي العباس:

* الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مر عبد الوهاب ابن منصور، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، صدرت ما بين سنتي 1993و 1998م.

- الأصفهاني الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله:

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، مج1، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م.

- الألوسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود:

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، مج2، ج1، دارالفكر، بيروت، 1398هـ/1978م.

– الباروني سليمان باشا:

* الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، تح محمد علي الصليبي،ج2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1407هـ/1987م.

– البرزلي أبو القاسم:

* جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تق وتح محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م.

– ابن بشكوال أبو القاسم خلف القرطبي:

* الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تح ابراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410 هـ/1989م.

البكري أبو عبيد الله:

* المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، مكتبة المثنى بغداد، د ت ط.

– تقي الدين محمد بن أحمد المكي الحسني:

* العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح فؤاد السيد، ج5، مطبعة السنة المحمدية ،عابدين، مصر،1385 هـ/1966م

– التنبكتي أحمد بابا:

* نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة،ج1، ط1، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، 1398هـ/1989م.

* كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (في تراجم المالكية)، تع أبو يحي عبد الله الكندري، ط1، دارا بن حزم، بيروت، لبنان ،1422هـ/2002م.

– حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله:

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، مكتبة المثنى ببغداد، د ت ط.

– الحفناوي أبو القاسم محمد:

* تعريف الخلف برجال السلف، ج1، ط2، مؤسسةالرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، 1405هـ /1985م.

الحموي ياقوت:

* معجم البلدان، ج1، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995م.

الحميري محمد بن عبد المنعم:

* الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، 1984م.

– الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي:

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،مج2،ج4،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت ط.

ابن حوقل:

* صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ت ط.

– ابن الخطيب لسان الدين:

* الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله عنان،ج4، اط1،الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1397 هـ/1977م.

* معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تر محمد كمال شبانة، المعهد الجامعي للبحث العلمي بالمغرب ،1397هـ/1977م.

* تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام، تح ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، آذار 1956م.

* تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام، تح ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، آذار 1956م.

– ابن خلدون عبد الرحمان:

* كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،1391هـ/1971م.

* شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سورية، 1417هـ.

– ابن خلدون أبو زكريا يحي بن محمد:

* بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،ج1، تح عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية ، الجزائر 1400هـ/1980م.

– ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد (681 هـ/1282م):

* وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ت إحسان عباس ، ج2، دار صادر بيروت، لبنان، د ت ط.

– الدبّاغ عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي:

* معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، تع أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، المكتبة العتيقة بتونس، 1972م

– الدرجيني ابي العباس احمد بن سعيد:

* طبقات المشائخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي،ج1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1994م.

ابن أبي زرع أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم:

* الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، طبعة حجرية، د ت ط.

– السلاوي أبو العباس احمد بن خالد الناصري:

* الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، تح جعفر الناصري، محمد الناصري، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ /1997م.

السهروردي عبد القادر بن عبد الله:

* عوارف المعارف، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان،1966م.

– السيوطي جلال الدين:

* طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر،ط1، مطبعة الاستقلال الكبرى، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، رجب 1393هـ/ أغسطس 1973م.

– الششتري أبو الحسن:

* ديوان شعره، تع علي سامي النشارة، ط1، المعارف بالإسكندرية، 1960م.

– الصدفي طاهر:

* السر المصون في ما أكرم به المخلصون، تح حليمة فرحات، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.

– ابن الصغير:

* أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وبحاز ابراهيم، دار الغرب الاسلامي، د ت ط.

الضبي أحمد بن يحي الأندلسي:

* بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،تح روجية عبد الرحمن السويفي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ /1997م.

– الطبري أبو جعفر محمد بن جرير:

* جامع البيان، ج4، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده 1373هـ /1954م.

– الطوسي أبو نصر السرّاج:

* اللُّمع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتاب الحديثة، مصر، د ت ط.

– ابن العربي أبا بكر(ت543هـ/1149م):

* أحكام القرآن، تع محمد عبد القادر عطا، مج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت ط.

– ابن عربي محي الدين:

* فصوص الحكم، تعليق أبو العلاء عفيفي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 23رمضان 1365هـ/20 أغسطس 1946م.

* الفتوحات المكية ،ج2، دار صادر بيروت، د ت ط.

– أبو العرب محمد بن تميم القيرواني:

* طبقات علماء إفريقية وتونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت ط،

– ابن العريف أبو العباس:

* مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، جمع أبو بكر عتيق بن مؤمن، تحقيق ودراسة عصمت عبد اللطيف دندش، ص1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م.

– ابن عذارى المراكشي:

* البيان الموحدي، تح محمد ابراهيم الكتاني، محمد زنبير، محمد بن تاويت ،عبد القادر زمامة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/1985م.

– ابن علي المراكشي عبد الواحد:

* المعجب في ذكر افريقية والمغرب، تح محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ذو الحجة 1369 هـ/أكتوبر 1950م.

– عياض بن موسى اليحصبي ابن أبي الفضل:

* ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تص أحمد بكير محمود، منشورات دار الحياة بيروت، دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا 1388هـ/1968م، ج1.

– الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد :

*عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ت رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،18 جانفي 1970م،11 ذي القعدة 1389م.

– الغزالي أبو حامد:

* إحياء علوم الدين، مراجعة وضبط محمد الدالي بلطة، ج2، ط3، المكتبة العصرية صيدا.

– ابن فرحون ابراهيم بن نور الدين:

* الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م.

– ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي(ت 403هـ/1012م):

* تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)، تح روحية عبد الرحمان السوّيفي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

– ابن القاضي أحمد:

* جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، القسم الثاني، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1973م.

– القرافي بدر الدين محمد بن يحي:

* توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح أحمد الشتيوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ /1983م.

– القشيري بد الكريم بن هوزان:

* الرسالة القشيرية في علم التصوف، تق محمد بن عبد الرحمن المرعشلي ،ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،1419هـ/1998م.

– ابن القطان أبو الحسن على بن محمد:

* نظم الجمان، تح محمود علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، د ت ط،

– ابن القنفذ القسنطيني:

* أنس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث كلية الآداب، الرباط، 1965م.

ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري:

*تاريخ الأندلس(لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط)، تح أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، 1971م.

– الكلاباذي أبو بكر محمد:

* التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1380هـ/1960م.

– المالكي أبي بكر بن عبد الله بن محمد:

* رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح بشير البكوش، ج1، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م.

– مجهول:

* الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م.

– مجهول:

* مفاخر البربر، تح محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد،1996 م، ص219.

– المحاسبي الحارث بن أسد:

* الرعاية لحقوق الله، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، تقديم عبد الحليم محمود، ط3، دار الكتب الحديثة، عابدين مطبعة السعادة، القاهرة، 1390هـ /1970م.

– المراكشي عبد الواحد:

* المعجب في ذكر أخبار إفريقية والمغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ذو الحجة 1369هـ/ أكتوبر 1950م.

– ابن مريم المديوني محمد بن محمد:

*البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر محمد ابن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د ت ط.

– المزاري الآغا بن عودة (توفي بعد 1897م):

* طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح يحي بوعزيز ،ج1 ط1، دار الغرب الإسلامـي بيروت، لبنان،1990م.

– المقري التلمساني أحمد بن محمد:

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، ج4، ط2، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997م .

– ابن عبد الملك المراكشي محمد بن محمد:

* الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر5، القسم1، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965م.

* السفر6، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973م.

– ابن منظور الإفريقي:

* لسان العرب، مج7، دار صادر، بيرو ت، لبنان، د ت ط.

– المنّاوي زين الذين محمد عبد الرؤوف:

* الكواكب في تراجع السادة الصوفية، تحقيق محمد الجادر،ج2، ط1، دار صادر، بيروت لبنان، 1999م.

– النبهاني يوسف إسماعيل:

*جامع كرامات الأولياء ،تح إبراهيم عطوه عوض، ج2، ط1، شركة مكتبة وم ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت ط، 1996م.

3– المراجع:

– احمد موسى عز الدين:

* النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1403 هـ/1983م.

– أعراب سعيد:

* مع القاضي أبي بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.

– ألفرد بل:

* الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، ط3.

– أمين أحمد:

* ظهر الإسلام، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962م.

دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م

– أوليري دي لاسي:

* الفكر العربي ومركزه في التاريخ، تر إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ت ط.

– الباشا محمد:

* الكافي معجم عربي حديث، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م.

– بالنثيا أنخل جنثالث:

* تاريخ الفكر الأندلسي، تر حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 1945م.

– برنشفيك روبار:

* تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

– بلغيث محمد الأمين:

* الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ، جامعة االجزائر،1406 هـ1407 هـ/1986 –1978م.

– بنسباع مصطفى:

* السلطة بين التسنن والتشييع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، تقديم امحمد بنعبود، ط1 منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، مطابع الشويخ، تطوان، 1999م.

– بوتشيش ابراهيم القادري:

* مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ،اط1، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، حزيران (يونيو)1998م.

* المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع– الذهنيات – الأولياء، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، نيسان (أبريل)1993م.

– بونابي الطاهر:

* التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين /12 و 13 الميلاديين ،(نشأته – تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د ت ط.

– بونار رابح:

* المغرب العربي تاريخه وثقافته، ج1، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

بيف ارثور سعد ، توفيق سلوم:

* الفلسفة العربية الإسلامية(الكلام والمشائية والتصوف)، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2000م.

– ابن تاويت محمد:

* الأدب المغربي، ط1، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت، لبنان، مايو1960.

– التفتازاني أبو الوفاء الغنيمي:

* مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، 1399هـ / 1979م.

– التليدي عبد الله بن عبد القادر:

* المطرب بمشاهير المغرب،ط3، دار الأمان، الرباط، 1421هـ/2000م.

– الجزائري عبد الكريم:

* التصوف في ميزان الإسلام، ط1، دار هومة للطباعة و النشر، بوزريعة، الجزائر، 1997م

– جمهرة من المستشرقين إشراف سيرتوماس أرنولد:

* تراث الإسلام، تعليق جرجيس فتح الله، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، تشرين الأول (أكتوبر) 1972م.

– حسن إبراهيم حسن:

* تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ج3، ط14، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،1416هـ/1996م

– بن حمادي عمر:

* الفقهاء في عصر المرابطين، القسم2، شهادة التعمق في البحث، جامعة تونس1987 م

– أبو الخشب ابراهيم علي:

* تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت ط.

– دبوب محمد:

* مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي وتفاعلاتها خلال القرنين (3هـ-5هـ/9 م -11م)، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 2000-2001م.

– دندش عصمت عبد اللطيف:

* الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ-546هـ/ 1116 -1151م (تاريخ سياسي وحضارة)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1408هـ/1988م.

* أضواء جديدة على المرابطين،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،1991،

– روجي إدريس الهادي:

* الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)،تر حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1992م

الزهراني علي بن محمد بن سعيد:

* الحياة العلمية في صقلية (212–484هـ/ 826–1091م)، سلسلة الرسائل العلمية، المملكة العربية، السعودية، 1417هـ/1996م.

– سعدون عباس نصر الله:

* دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م.

السيد عبد العزيز سالم سحر:

* تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي(التاريخ السياسي)، ج2، مؤسسة شباب جامعة الإسكندرية،6 مايو، 1991م.

– شاخت وبوزورث:

* تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، ج2، ط2، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رمضان 1408هـ/ مايو 1988م.

– شاوش محمد بن رمضان:

* الدر الوقّاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ط1، مستغانم، 1966م.

شرف محمد جلال:

* التصوف الإسلامي مدارسه ونظرياته، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1410هـ/ 1990م.

– الشوار العربي بن مصطفى:

* ديوان القطب الرباني العارف بالله الغوث الصمداني الشيخ سيدي شعيب أبي مدين بن الحسين الأنصاري الأندلسي الاشبيلي ت 594هـ، ط1، مطبعة الترقي بدمشق، 1357هـ /1938م.

– الشيبي مصطفى كامل:

*الصلة بين التصوف والتشيّع، ج1، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1982م.

– الطعمي محي الدين:

* طبقات الشاذلية الكبرى، ط1، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م.

– طه جمال أحمد:

* مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448–668هـ/ 1056–1269م دراسة سياسية وحضارية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2002م.

– عتيق عبد العزيز:

* الأدب العربي في الأندلس، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1976م.

– عرفان عبد الحميد فتاح:

* نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ط1، دار الجيل ، بيروت، لبنان،1413 هـ/1993م.

عزيز السيد جاسم:

* متصوفة بغداد، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1997م.

– بن عبد الله عبد العزيز:

* معطيات الحضارة المغربية، ج1، ط3، دار الكتب العربية، 1963م.

– علي حسن حسن:

* الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1980م.

– عفيفي أبو العلاء:

* التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د ت ط.

– عنان محمد عبد الله:

* عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج2، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1384هـ/1964م.

– عويضة كامل محمد محمد:

* ابن مسرّة محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي الفيلسوف الزاهد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414 هـ/1993م.

– غافة إبراهيم:

* الشيخ محي الدين بن عربي وتأثيره في العالم الإسلامي والعالم المسيحي، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة، الجزائر، 2001م.

– فروخ عمر:

* تاريخ الأدب العربي (الأديب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة)، ج6، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، حزيران (يونيو) 1983م.

– الفيلالي عبد العزيز:

* تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

– قاسم غني:

* تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت ومراجعة أحمد ناجي القيسي، محمد مصطفى حلمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.

– قريبز محمد:

* تاريخ دخول التصوف إلى الغرب الإسلامي (النشأة والتطور)، محاضرات الموسم الثقافي 98-99م، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 1428 هـ/1999م.

– كحالة عمر رضا:

* معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، ج11، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان د ت ط.

– مؤنس حسين:

* الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/ 1118م مع أربع وثائق جديدة، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد 1413هـ/1992م.

– مجاني بوبة:

*عبد المؤمن بن علي والحركة الصوفية ، الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري والدولة الموحدية ، ط1،ندرومة 03 إلى 06 نوفمبر 1998م / 13 إلى 16 رجب 1419هـ.

– محمود أحمد حسن:

* قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط2 ، دار الكتاب الحديث، جامعة القاهرة،1416 هـ/1996م.

– محمود عبد الحليم:

* العارف بالله أبو العباس المرسي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، د ت ط.

– مخلوف محمد بن محمد:

* شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1349هـ/1930م.

– مصطفى محمد مسعد سامية:

*الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من 484 إلى 620هـ (من 1092 إلى 1223م)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ/2003م.

– بن منصور عبد الوهاب:

* أعلام المغرب العربي، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، 1399هـ/1979م.

– المنوني محمد:

* ورقات عن حضارة المرينيين، ط2 ،منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1416 هـ/1996م.

* إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين(أبو حامد الغزالي. دراسات في فكره و عصره و تأثيره)، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 09، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. 1988م.

*حضارة الموحدين،ط1،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،المغرب،1989م.

– هلال إبراهيم:

* التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1395هـ/ 1975م.

– هويدي يحي:

* تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م.

اليازجي كمال:

* معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1974م.

– **المقالات:**

– ايرفوا دومنيك:

* علماء الأندلس، الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس(الفن والعمارة– التاريخ الاجتماعي– التاريخ الاقتصادي–الفلسفة– الدراسات الدينية– والتكنولوجيا والزراعة)، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، ج2، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، تشرين الثاني، نوفمبر 1999م.

– بوحسون عبد القادر:

* التصوف الاسلامي ببلاد الاندلس: واقعه واعلامه عصر بني الاحمر أنموذجا، **مجلة متون**، مج12، ع2، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، أوت2020م.

– البوعبدلي المهدي:

* الرباط والفداء في وهران والكبرى، **مجلة الأصالة**، مطبعة البعث، قسنطينة، السنة الثالثة، العدد 13، مارس– أفريل 1973م.

– بونار رابح:

* عبد الحق الاشبيلي محدث القرن السادس الهجري، **مجلة الأصالة**، ع19، السنة الرابعة، مارس، أفريل 1974م.

– التباعي جواد:

* اضاءات تاريخية حول تاريخ ضريح ومنطقة أبي يعزى من العهد الموحدي الى الاستقلال، **مجلة الذاكرة**، مج9، ع1، 2021م، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

– الخلادي عبد القادر:

* أبو مدين الغوث دفين تلمسان 520 –594 هـ/1126–1197 م، **مجلة الأصالة**، ع26، جويلية 1975م.

– سعدي زكرياء ، ملاخ عبد الجليل:

* حركة ابن مسرة القرطبي من خلال كتاب المقتبس لابن حيان الاندلسي خلال القرنين 3–4هـ/9–10م، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج6، ع2، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة المسيلة، 2022م.

– عدّاس كلود:

* التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي ،**موسوعة الحضارة العربية في الأندلس**، تحرير سلمي الخضراء الجيوشي، ج2، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، تشرين الثاني (نوفمبر) 1999م.

– غيشار بير:

* التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، **موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي،ج2، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1999م.

– بن قربة صالح يوسف:

* دور تيار التصوف وأثره في الحياة السياسية خلال القرن السادس في العهد المرابطي، **مجلة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور**، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 28أيار – ماي2002م.

– الوارث أحمد:

* الزوايا السلطانية في العهد المريني، **مجلة التراث المغربي الأصيل**، الجامعة الوطنية لجمعيات الملحون والفنون التراثية، ع1، يونيو2013م.

المراجع باللغة الأجنبية:

Dermenghen: vies des saints Musulmans, Editions D'aujourd'hui plan Emile la tour (var), 1981.

Goodrich David Raymound : A « Sufi » Revalt in Portugal : IBN Quasi and His-Kita Khal- Al- NaLayni, (Arabic texte), Columbia university, Ph- d- ,1978.

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي - جامعة زيان عاشور الجلفة

فهرس المحاضرات:

1- مصادر دراسة التصوف بالغرب الاسلامي.

2- التصوف بالمشرق الاسلامي.

3- حركة الزهد بالغرب الاسلامي.

4- عوامل انتشار التصوف بالغرب الاسلامي.

5- أقطاب التصوف.

6- التيارات الصوفية.

7- مكانة المتصوفة في المجتمع.

8- اسهامات المتصوفة في الحياة.

التيارات الصوفية بالغرب الإسلامي - جامعة زيان عاشور الجلفة